الجمهورية التركيا

جامعة وان يوزنجوبيل

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم الفلسفة والعلوم الدينية – التربية الإسلامية

التربية الإسلامية بين العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر

(دراسة مقارنة)

رسالة ماجستير

إعداد

ضبيا نزار عبد الجليل

وان – ٢٠١٨م

جامعة وان يوزنجوييل

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم الفلسفة والعلوم الدينية – التربية الإسلامية

التربية الإسلامية بين العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر

(دراسة مقارنة)

رسالة ماجستير

إعداد

ضبيا نزار عبد الجليل

إشراف

د. محمود دوندار

وان – ٢٠١٨

المحتويات

المحتويات ١
المقدمة ٣
الاختصارات ٦
التمهيد ٧
١. **التربية الإسلامية في العهد الأيوبي في مصر** ١٤
١.١. نبذة تاريخية عن عهد الأيوبيين في مصر ١٤
٢.١. التعليم في عصر الأيوبيين في مصر ٢٤
٣.١. التربية الإسلامية في العهد الأيوبي ٣٥
١.٣.١. الفكر التربوي الإسلامي في عصر الأيوبيين في مصر ٣٧
٢.٣.١. إدارة المؤسسات التعليمية في عصر الأيوبيين في مصر ٤١
١.٢.٣.١. أوقاف مصر في العصر الأيوبي ٤٢
٢.٢.٣.١. الخدمات الطلابية والإدارية للمدارس في العصر الأيوبي في مصر ٤٤
٣.٢.٣.١. القائمون على التدريس التربوي ٤٨
٣.٣.١. مراكز التربية التعليمية في مصر في العصر الأيوبي ٥٠
١.٣.٣.١. المكتبات في العصر الأيوبي ٥٠
٢.٣.٣.١. المساجد في العصر الأيوبي ٥٢
٣.٣.٣.١. دور الكتب (المكاتب أو الكتاتيب) ٥٤
٤.٣.٣.١. المدارس في العصر الأيوبي ٥٥
٥.٣.٣.١. الخوانق ٦٨

٢. **التربية الإسلامية في العصر المملوكي في مصر**..... ٧٢
٢ .١. نبذة تاريخية عن المماليك في مصر..... ٧٢
٢.٢. التعليم في عهد المماليك في مصر ٨٢
٢.٣. التربية الإسلامية في عهد المماليك..... ٩٠
٢ . ٣. ١. الفكر التربوي في دولة المماليك..... ٩٠
٢.٣.٢. تنظيم العملية التربوية في عهد المماليك في مصر..... ٩٨
١.٢.٣.٢. التنظيم الإداري في المدارس..... ٩٨
٢.٢.٣.٢. الأوقاف الإسلامية ودورها في العملية التربوية ١٠٤
٣.٢.٣.٢. الهيئة التدريسية ١٠٥
٤.٢.٣.٢. أساليب التربية الإسلامية.....١٠٩
٣.٣.٢. مراكز التعليم والتربية في عصر المماليك.....١١٣
١.٣.٣.٢. المدارس ١١٣
٢.٣.٣.٢. الخانقاوات الصوفية.....١١٨
٣. **مقارنة التربية الإسلامية بين العهدين الأيوبي والمملوكي**.....١٢٢
٣ . ١. أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهدين.....١٢٢
٢.٣. التطورات التي حدثت في العهد المملوكي.....١٢٦
الخاتمة.....١٣٠
المراجع والمصادر ١٣٢
ملخص البحث باللغة العربية ١٤٣
ÖZET ١٤٥
ABSTRACT ١٤٧
İÇİNDEKİLER.....١٤٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – وأما بعد، فإن التربية الإسلامية تمثل المنهج الذي يحقق التطبيق الفعلي للتشريع الإسلامي، لأن الإسلام ليس جانبا علميا معرفيا فقط، بل يهدف إلى التطبيق العملي، والعلم وسيلة لتحقيق الجانب التطبيقي الصحيح، فلقد علم النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه، ورباهم فأحسن تربيتهم، حتى وصلوا إلى أعلى قمة في التفوق التربوي، فالمنهج التربوي الصحيح غير مجرى التاريخ، وغير الحياة البشرية على مر العصور.

تقتصر حدود الدراسة على فترة حكم الأيوبيين والمماليك في مصر، والتي بدأت بسقوط الخلافة الفاطمية بمصر وتولى صلاح الدين الأيوبي الحكم، واستمرت حتى الفتح العثماني لمصر، وهى تشمل الفترة الزمنية والواقعة بين (٥٦٥هـ / ١١٦٩م) – (٩٢٢هـ / ١٥١٧م)، وقد شملت هذه الفترة دولتين: الدولة الأيوبية: وهى التي امتد حكمها في الفترة الزمنية من (٥٦٥هـ / ١١٦٩م) إلى (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م). والدولة المملوكية وهى التي امتد حكمها في الفترة الزمنية من (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) إلى (٩٢٢هـ / ١٥١٧م) ويقسم المؤرخون هذه الفترة إلى دولتين هما دولة المماليك الترك أو البحرية: امتد حكمها من (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) إلى (٧٨٤هـ / ١٣٨١م). ودولة المماليك الجراكسة أو البرجية وأمتد حكمها من (٧٨٤هـ / ١٣٨١م) إلى (٩٢٢هـ / ١٥١٧م).

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي في محاولة للتعرف على الفكر التربوي الإسلامي، ونظام التربوي التعليمي في المؤسسات التعليمية، والمؤسسات التعليمية في كل من عصر دولة الحكم الأيوبي وعصر دولة الحكم المملوكي في مصر، وربطها بالقوى التي أثرت فيها خلال هذين العصرين، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية التي تناولت كلا العصرين، وكذلك الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بالموضوع.

وإن سبب اختيار الموضوع أنه لا يوجد من كتب بصدد هذا الموضوع بشكل واضح في المصادر القديمة وبعض المصادر الحديثة، حيث إن كلاً من الدولتين متشابهتان من ناحية

الظروف الاقتصادية والاجتماعية والحروب التي مرت بها كل من هاتين الدولتين. فهذا البحث سيقدم فائدة علمية عن مفهوم التربية الإسلامية الذي كان موجوداً آنذاك، فلقد كان لقيام الدولة الأيوبية في مصر أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وبعد ذلك تلاها الحكم المملوكي الذي لا يقل أهمية عن مثيلتها الدولة الأيوبية.

فقد تناولت هذه الرسالة في بابها الأول نبذة تاريخية مختصرة عن العصر الأيوبي، وذلك بسبب أن هناك العديد من كتب التاريخ التي تناولت دراسة تاريخ الأيوبيين في مصر لأهمية هذا الموضوع، فلابد من فهم – ولو بشكل مبسط – المراحل التي مرت بها الدولة الأيوبية خلال فترة حكمها لإعطاء صورة متكاملة عن كيفية نجاح هذه الدولة في نشر التربية الإسلامية بين كافة فصائل المجتمع، وتناولت – أيضاً – هذه الدراسة مختلف العلوم التي كانت تدرس في مؤسساتها التعليمية في عصر الأيوبيين بالإضافة إلى نشر المذهب السني من خلال تدريس العلوم الدينية وعلى رأسها التربية الإسلامية، وهذا يعطينا فكرة من منظور أوسع على مدى التطور في نظم التعليم الذي كان قائما في ذاك العصر. وفي نهاية الباب الأول تركزت الدراسة على التربية الإسلامية والتعليم التربوي الذي طبق وبشكل ناجح في الدولة الأيوبية، حيث تم التطرق إلى المقومات الأساسية التي ساعدت على نشر التربية الدينية وهي الفكر التربوي الذي كان قائماً في الحكم الأيوبي في مصر، والنظم المستخدمة في سير العملية التعليمية التربوية، ونوع المؤسسات التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في مصر في تلك الدولة.

وفي الباب الثاني تم تدوين نبذة تاريخية عن الحكم المملوكي في مصر ولو بشكل يسير، لكي يعطينا – أيضا– الصورة الكاملة والواضحة على الظروف الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية التي مرت بها دولة المماليك في مصر، وكيف نجحت هذه الدولة بنشر واستمرار الثقافة الإسلامية والتعليم في المجتمع وإنشاء جيل من العلماء والفقهاء الذين خدموا العالم الإسلامي أجمع، وتم التعرف على العلوم التي تم تدريسها وتعليمها في عصر المماليك، وهذا يعطينا فكرة على مدى توسع تعدد العلوم وتطور العلوم التي تساهم في قيام دولة متكاملة قادرة على مواجهة خطر الضغوطات عليها، وكذلك تشير إلى مدى حرية التعليم في ذاك العصر، وفي نهاية الباب الثاني تم دراسة التربية الإسلامية في عصر المماليك، وهذا يمكننا من معرفة الفرق بين كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر، فقد شملت دراسة هذا البحث ثلاث مقومات أساسية في سير العملية التربوية الإسلامية وهي الفكر التربوي الذي ساعد في نشر

وسير عملية التعليم، وطرائق التدريس المستخدمة في هذه العملية التربوية، وطبيعة المؤسسات التربوية في عصر المماليك في مصر.

إضافة الباب الثالث يتضمن التحليل الدراسي للتربية الإسلامية في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر، والذي يحتوي على ثلاثة مباحث أساسية وهي أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهدين، والتطورات التي ظهرت على التربية الإسلامية في العهد المملوكي، والمآخذ على العهدين الأيوبي والمملوكي، لإعطاء فائدة أكبر لكيفية نجاح نشر الفكر التربوي الإسلامي وسير العملية التربوية من بداية العصر الأيوبي وإلى نهاية الحكم المملوكي في مصر.

وفي نهاية هذه المقدمة أتقدم بخالص الشكر إلى الباري – عز وجل– الذي أعانني وسهل لي أمري لإتمام هذه الرسالة، وأتقدم بالشكر وخالص العرفان لزوجي العزيز لما قدمه لي من مساعدتي في كتابة هذه الرسالة ومن وقته الثمين فجزاه الله خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود دوندار لما قدمه لي من ملاحظات قيمة أعطت هذه الرسالة البحثية زخرفها العلمي وجوهرها الحضاري، كما أتقدم بشكري وتقديري لكل من قدم لي يد العون والمساعدة ولو بدعوة صادقة... والداي وأخوتي وأخواتي وأصدقائي.

الباحثة/ ضبيا نزار عبد الجليل

ولاية وان جمهورية تركيا – ٢٠١٨

الاختصارات

١- تح	التحقيق
٢- ص	الصفحة
٣- ط	الطبعة
٤- م	الميلادي
٥- هـ	الهجري

التمهيد

هدف البحث

يمثل عصر الأيوبيين والمماليك "والذى امتد بين أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)" الحلقة الثالثة والأخيرة من تاريخ مصر في العصور الوسطى الإسلامية الممتدة في الفترة الزمنية الواقعة بين الفتح العربي بمصر (٢١هـ / ٦٤١م) والغزو العثماني لها (٩٢٣هـ / ١٥١٧م).

وقد حرص المؤرخون على الجمع بين الدولة الأيوبية ودولة المماليك (البحرية الجراكسة) في وحدة متكاملة، لأن التغيرات التي حدثت لمكانة مصر السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية تنامت مع قيام الدولة الأيوبية، وظلت حتى أواخر حكم سلاطين المماليك، ومن ناحية أخرى أبقى المماليك بعد سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولتهم على النظم والأوضاع المألوفة عن السلاجقة التي أحضرها الأيوبيون معهم إلى مصر، وطبقوها فيها لأول مرة منذ الفتح العربي لهم، فالمماليك لم يرثوا أملاك ونفوذ الدولة الأيوبية في مصر فحسب، بل ورثوا عنها أركان سياستها ونظمها الداخلية، وهو ما جعل من حكم هاتين الدولتين وحدة متكاملة ذات طابع خاص في تاريخ مصر في العصور الوسطى الإسلامية.

إن الغاية من هذه الدراسة هي معرفة مدى الثقافة العلمية والقدرات التدريسية والتعليم في العهدين للحكم الأيوبي والحكم المملوكي في مصر، وكذلك معرفة القدرات التي بذلت في تدريس التربية الإسلامية وتطوير الثقافية الإسلامية والجهود التي كانت تبذل لنشر الاسلام والدعوة الإسلامية في كلا العهدين.

حدود البحث

يتناول البحث دراسة تاريخية للتربية الإسلامية في فترة الحكم الأيوبي في مصر وإلى نهاية فترة الحكم المملوكي في مصر، وهذه الدراسة شملت كافة المتعلقات بالتربية والتعليم، ونقصد بهذا كيفية سير العملية التربوية في تلك العصور من خلال ثلاث مفاهيم أساسية وهي الفكر التربوي، وتنظيم العملية التربوية، ومراكز التعليم التي بواسطتها استمرت العملية التربوية والتعليم خلال العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر، وشملت هذه الدراسة أيضا مقارنة للتربية

الإسلامية بين كل من الدولتين في مصر، وأخيرا النتائج التي حصلنا عليها خلال دراستنا في هذا البحث.

أهمية البحث

ومما تجدر الإشارة إليه أن عصر الأيوبيين والمماليك لم يكن عصر نشاط حربى فحسب، بل كان – أيضا– عصراً حضارياً واسع النطاق شمل النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والعليمة وأدى إلى قيام نهضة علمية كبيرة في مصر شملت الآداب والعلوم والفنون، وبلغت أوجَهَا في عصر سلاطين المماليك حتى أن بعض المؤرخين قد أطلق عليها النهضة الثانية في الإسلام.

ولقد توفرت للحركة العلمية الزاهرة التي شهدتها مصر في زمن الأيوبيين والمماليك عوامل عديدة ساعدت على ازدهارها لعل من أهمها ما عرف عن حب وتقدير سلاطين الأيوبيين والمماليك وأمرائهم للعلم والعلماء وما قدموه من تسهيلات وإعانات وهبات ورعاية لطلاب العلم وما تمتع به طلاب العلم في ذلك العصر من خدمات عديدة نحن الآن في أمس الحاجة للتعرف عليها وتوضيحها وبيان دورها في ازدهار الحركة العليمة في ذلك العصر.

هذه الدراسة مهمة لمعرفة مدى الفارق العلمي والتدريسي المبذول لتدريس التربية الإسلامية في كل من العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر، بالإضافة إلى مقارنة تاريخية لتأثير التربية الإسلامية والدعوة لتدريس الاسلام على نشأة كل من الحضارتين وامتدادهما تاريخيا، ومقارنة الإمكانيات التي كانت موجودة في العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر، بالإضافة إلى مقارنة الجهود المبذولة للدعوة الإسلامية والإسلام التربوي وإنشاء المدارس الإسلامية والتدريس الإسلامي في كلا العهدين.

وإن مقارنة التربية الإسلامية في كل من العصر الأيوبي والعصر المملوكي يتضمن عدة محاور منها:

- الفارق الثقافي الإسلامي والفكر التربوي الذي كان موجوداً في كل من العهدين الأيوبي والمملوكي.
- الإمكانيات المادية وعمليات سير العملية التربوية التي بذلت على إنشاء المدارس لتدريس التربية الإسلامية.

- تأثير التربية الإسلامية على الجوانب الحضارية وعلى نشأة كل من الحضارتين.

المصادر

لقد تم انجاز هذه الرسالة من خلال التطلع على مختلف المصادر الرصينة والموثوقة التي تتعلق بالمضمون العلمي لهذه الرسالة، ومن أهم هذه المصار هي:

كتاب "**السلوك لمعرفة دولة الملوك**"[١]، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، المتوفي سنة ٨٤٥ هـ، وهذا الكتاب من أبرز كتب المقريزي ومن أبرز كتب التاريخ المصري الوسيط يتضمن سلسلة من التواريخ المصرية حول عصري الدولتين الأيوبية والمملوكية من سنة ٥٧٧ هـ وحتى سنة التي سبقت وفاة المؤلف سنة ٨٤٥هـ.

كتاب "**الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**"[٢], تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، وهذا الكتاب يتضمن دراسة تاريخية بكافة جوانبها الحضاري والسياسي والاجتماعي والعلمي والعسكري في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية ضمن إطار واحد يحيط بهاتين الدولتين وبخاصة في مصر والشام.

كتاب "**تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة**"[٣], تأليف الدكتور محمد سهيل طقوش، وهذا الكتاب يتضمن تاريخ مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، كتاب تاريخي في كافة جوانب قيام الدولة الأيوبية وكيفية نجاح واستمرار هذه الدولة من الجانب العسكري والسياسي والاجتماعي ونشر المذهب السني وتعليم كافة أفراد المجتمع وإلى نهاية الحكم الأيوبي في مصر.

رسالة دكتوراه بعنوان "**المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني**"[٤], للباحث أيمن شاهين سلام، وتتضمن هذه الدراسة نشأة المدارس

---

[١] وتم تحقيق هذا الكتاب من قبل محمد عبد القادر عطا، وهذا الكتاب يقع في ثمان أجزاء، وتم نشره في دار الكتب العلمية في بيروت – لبنان سنة ١٩٩٧م.

[٢] من تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، وهو أستاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب – جامعة القاهرة، تم نشره من قبل دار النهضة العربية – القاهرة سنة ١٩٩٦م.

[٣] من تأليف الدكتور محمد سهيل طقوش، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٨م، تم نشره في دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت – لبنان.

[٤] أيمن شاهين سلام، هو باحث في جامعة طنطا – كلية الآداب – قسم التاريخ سنة ١٩٩٩م.

وتطورها في العالم الإسلامي، وكيفية تنظيم العملية التعليمية في تلك المدارس، وآثار تلك المدارس في إحياء علوم السنة.

كتاب "**المدارس في مصر في عصر المماليك**"[٥]، تأليف الدكتور محمد العناقرة، وهذا الكتاب يدرس تاريخ المدارس في العصر المملوكي في مصر، وكيفية تنظيم المدارس من خلال الوقفيات والحجج، وكيفية سير العملية التعليمية وأساليب التدريس والتربية.

كتاب "**خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**"[٦]، تأليف الدكتور عاصم محمد رزق، ويشتمل هذا الكتاب على دراسة تاريخية للخانقاه ووظائفها وأوقافها، والدراسة الإسلامية والتعليمية التي كانت قائمة في هذه الخانقاوات، وكذلك يتضمن دراسة تاريخية معمارية للخانقاوات والمنشآت التابعة لها.

رسالة دكتوراه بعنوان "**أنشطة التعليم والتدريس في عهد الأيوبيين في مصر**"[٧]، للباحث محمود دوندار، وتتضمن هذه الرسالة أنشطة التعليم والتدريس التي نفذت في مصر خلال العصر الأيوبي، وتركز الدراسة على مؤسسات التعليم والتدريس التي تخدم في مصر، وتخصصات نمت في هذه المؤسسات ، ومنهجيات التعليم ، والوسائل المالية المتاحة من خلال خلق فرص لتحسين أنشطة التعليم والتدريس، والشخصيات الفعالة.

أهم مصطلحات البحث

تناول البحث بعض الكلمات او المصطلحات الرئيسية التي تم استخدامها بشكل متكرر في هذه الدراسة:

- **المقارنة التاريخية:** هو أسلوب في العلوم الاجتماعية يدرس الأحداث التاريخية لإيجاد تفسيرات تكون صحيحة بعد وقت ومكان معين، إما عن طريق المقارنة المباشرة لأحداث تاريخية أخرى وبناء النظرية أو إشارة إلى يومنا هذا.

---

[٥] وهي الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م، طبعت في الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – المجلس الأعلى للثقافة في الجزيرة – القاهرة.

[٦] وهذا الكتاب بطبعته الأولى تم نشره في مكتبة المدبولي في ميدان طلعت حرب بالقاهرة سنة ١٩٩٧م.

[٧] دوندار، محمود دوندار، أنشطة التعليم والتدريس في عهد الأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه من جامعة أتاتورك في أرض روم في تركيا، ٢٠١٤.

- **التربية الإسلامية:** التربية الإسلامية هي نظام تربوي شامل يعدّ إنساناً متكاملاً دينياً ودنيوياً اعتماداً على الشريعة الإسلامية وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعتبر مفهوم التربية الإسلامية مفهوماً شاملاً لكلّ ما يلزم لتربية الإنسان على الدين الإسلامي.
- **العهد الأيوبي (عصر الأيوبيين):** هي دولة إسلامية نشأت في مصر، وامتدت لتشمل الشام والحجاز واليمن والنوبة وبعض أجزاء المغرب العربي.
- **العهد المملوكي (عصر المماليك):** هو سلالة من الجنود الذين حكموا بلاد الشام ومصر والعراق وبعض الأجزاء من الجزيرة العربيّة منذ ١٢٥٠م – ١٥١٧م، أي ما يقارب فترة قرنين ونصف. تعود أصول المماليك إلى آسيا الوسطى وذلك قبل استقرارهم في مصر؛ حيث أسّسوا بمصر دولتين متعاقبتين وعاصمتهما القاهرة.

نبذة تاريخية عن التربية الإسلامية قبل حكم الأيوبيين والمملوكيين في مصر

ظلت مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة بعيدة عن الصراع الفكري والمذهبي بين أهل السنة والشيعة، وكان أهل مصر على المذهب السنة والجماعة إلى أن دخل الفاطميون مصر سنة ٩٦٩م، وكان هدف الفاطميين في الدعوة إلى المذهب الشيعي هو كسب تأييد الأتباع عن طريق الدعوة والإقناع، فلقد لاحظ الفاطميون خلو مصر من أي معاهد علمية باستثناء مساجدها والتي تعد المتنفس العلمي الوحيد في مصر قبل العصر الفاطمي وبخاصة جامعي عمرو بن العاص، وابن طولون، وكانت الدراسة السنية هي الغالبة على محاضرات العلماء في تلك المساجد آنذاك[٨]، وعلى الرغم من أن المذهب الشيعي كان يعتبر أحد الدعامات الرئيسية في الفكر السياسي الفاطمي، فإن من الجهل أن يفتتح الفاطميون سياستهم تجاه المصريين بإسقاط كل ما يتعلق بالمذهب السني، لأن المذهب السني ليس وليداً ليوم وليلة. فقد بدأ جوهر سياسة الدولة الفاطمية بفرض مذهبها والعمل على نشره، فبدأوا بإنشاء جامع جديد ليكون مقراً ومركزاً تعليمياً للفقه الشيعي سنة ٩٧٢م وهو جامع الأزهر، وتم بناؤه في شهر رمضان. وأما الجهد الواضح للفاطميين في مجال الثقافة والتعليم فقد تركز في دار العلم (الحكمة) التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله وافتتحت رسميا سنة ١٠٠٥م، فقد تأسس دار

---

[٨] الشيال، جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م، ص٨٣.

العلم لخدمة المذهب الشيعي مذهب الدولة الرسمي، فقد سادت على الحلقات العلمية وتعليم العلوم صبغة التشيع، وصارت الغلبة للمذهب الفاطمي[٩].

ابتكر الفاطميون وسائل جديدة في الترويج لمذهبهم الشيعي، فقاموا بتعيين معتنقي المذهب في مناصب الدولة، ولجأ الفاطميون إلي استحداث احتفالات دينية لم تكن معروفة وموجودة من قبل، وتحتوي على مظاهر فرح وطقوس يغلب عليها البهجة والاستمتاع، وذلك لجذب الناس إلى المذهب الجديد. ومن تلك الاحتفالات هي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وليلة النصف من شعبان، وعاشوراء، واحتفالات شهر رمضان، وابتداع أكلات وأغاني لهذه الأعياد[١٠].

كانت للمؤسسات التعليمية في العصر الفاطمي عاملاً في نجاح النهضة، فبدأ الأمر من الكتاتيب ثم المساجد، وتطوراً إلى المدارس بعد المكتبات والقصور، فالكتاتيب هي أبرز وأهم مرحلة من مراحل التعليم في الدول الإسلامية عامة، وهي أماكن لتعليم الصبيان كمرحلة أولى، وينتقل بعد ذلك إلى المسجد، وانتشرت هذه الكتاتيب في الدولة الفاطمية انتشارا واسعاً، فتعددت أسماؤها من مكاتب إلى حوانيت وغيرها، يتم إرسال الصبي إليها في سن مبكرة. وأما المساجد فكانت المصب الأول لدروس العلم ونشر المذهب الشيعي في مصر، وكان يقيم في المساجد كل من المدرسين والمقرئين وطلاب العلم، وحتى الجامع الأزهر لم يقف فقط على تدريس العلوم الشرعية بل العلوم الأخرى – أيضا– مثل الطب والرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرها. أما المكتبات فكانت في العصر الفاطمي بالنسبة للخلفاء والوزراء شيء لا يمكن الاستغناء عنه، فهم أصحاب مذهب جديد في مصر، ولا بد من الثقافة والمناظرات، كما أن المكتبات تعتبر دليلاً واضحاً على مقدار العلم والتعليم آنذاك، وانتشار الآداب والعلوم، ونجد الخلفاء الفاطميون حريصون على جمع أكبر عدد من الكتب والحصول على أندر المؤلفات في جميع العلوم. وكذلك بالنسبة للقصور فقد استغلها الفاطميون وكانت عامرة بمجالس الآدب والمناظرات، فقد ساهمت بحب وشغف الفاطميين بالأدب، وكانت تعقد المجالس دائما في القصور ويحضرها

---

[٩] الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ص١٠٢.
[١٠] الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ص١٩٩.

العلماء والأدباء والشعراء[١١]، والمدارس هي كانت الأماكن الأخرى في تأدية دورها في نشر التربية الإسلامية القائمة على المذهب الفاطمي بالإضافة إلى العلوم الأخرى، وهي دليل على نوع من التطور في نشر الثقافة والتعليم في المجتمع المصري فهي كانت تعادل جامعاتنا في وقتنا هذا، فكانت على سبيل المثال أول مدرسة هي مدرسة الطرطوشي نسبة لمحمد بن الوليد طرطوش الأندلسي، وقد بنيت بعيدة عن القاهرة لتأدية وظيفتها في نشر التعليم، ومدرسة أبي الطاهر بن العوف نسبة إلى إسماعيل بن العوف، وتضم هذه المدرسة مساكن للطلاب، وكذلك المدرسة التي أقيمت في الإسكندرية فهي مدرسة الحافظ السلفي أبي الطاهر عماد الدين أحمد بن محمد الأصفهاني[١٢].

وقد حظى المعلم في عهد الفاطميين مكانة كبيرة في الدولة، وتم تخصيص الأوقاف لخدمة المعلمين، وأن الفاطميين أتاحوا التعليم كحق مشروع لكافة طوائف المجتمع، ويحق للطالب أن يختار دروسه وأستاذه والفترة الزمنية التي يريد الدراسة فيها، فالتعليم كان مجانياً ويقدم بشكل مجاني، بل إن الدولة أيضاً كانت توفر المأكولات والمشروبات والمحابر والكتب للطلاب، بحيث لا تكون هناك تفرقة بين الغني والفقير، والطالب كان ينتقل من الكتاتيب بعد إتمام التعليم فيها إلى المساجد لتلقي مختلف العلوم[١٣].

---

[١١] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي، *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تح جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٠٨.

[١٢] المقريزي، *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، ص٢٠٢.

[١٣] المقريزي، *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، ص٣٣٤.

١. التربية الإسلامية في العهد الأيوبي في مصر

في هذا الفصل سوف يتم التطرق إلى ثلاثة مواضيع أساسية لغرض جوهرة ما تم تدوينه في كتب التاريخ والبحوث العلمية، وهي: نبذة تاريخية عن عهد الأيوبيين في مصر، والتعليم في عصر الأيوبيين في مصر، والتربية الإسلامية في العهد الأيوبي.

١.١. نبذة تاريخية عن عهد الأيوبيين في مصر

الجذور التاريخية للدولة الأيوبية.

ينتسب الأيوبيون إلي أيوب بن شادي من بلدة دوين[١٤]، الواقعة عند آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس في أرمينية، وجميع أهل ذلك البلد من الأكراد الروادية، أحد بطون الهذبانية، وهذه القبيلة من أشرف الأكراد ولم يجر على أحد منهم رق، غير أن بعض الأيوبيين حاول أن يبتعد عن الأصل الكردي والالتصاق بالدم العربي عامة، وبنسل بني أمية خاصة، وأنكروا نسبتهم إلى الأكراد وقالوا: "إنما نحن عرب نزلنا إلى الأكراد وتزوجنا منهم"، وقد أنكر صلاح الدين هذا النسب العربي وقال: "ليس لهذا الأصل أصلٌ، وحتى أخيه العادل الأيوبي أنكر هذا الأصل وجحد أن يكون لبني أيوب أي نسب يتصل ببني أمية، ويبدو أن الأيوبيين ليسوا عربا بالدم والجنس والأصل، لكنهم عرب باللغة والمشاعر، وفوق ذلك كله فإنهم مسلمون ساهموا في صنع أحداث التاريخ الإسلامي على مدى أكثر من ثلاثة أرباع القرن الذي يعد من أهم مراحل تاريخ الحروب الصليبية[١٥].

وفي بداية القرن السادس للهجري (الثاني عشر الميلادي) انتقلت الأسرة من دوين حيث غادر شادي مع ابنيه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه المنطقة إلى تكريت شمال سامراء في العراق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة، ويبدو أن أغلب سكانها كانوا من الأكراد، حيث

---

[١٤] دوين: بلدة من نواحي أران في أخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنوأيوب، ودوين أيضا، أحدى قرى أستوا من أعمال نيسابور في بلاد فارس.

[١٥] قطب، محمد علي قطب، *أبطال الفتح الإسلامي*، الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص١٤

عينه محافظها مجاهد الدين بهروز حاكما عليها نظرا لصلة الصداقة التي كانت تربط بينهما، ولما توفي خلفه نجم الدين أيوب[١٦].

بداية الدولة الأيوبية

لم يتخل أموري ملك بيت المقدس عن حلمه بالاستيلاء علي مصر، ولكنه أدرك أنه لن يتمكن من مواجهة جيوش نور الدين محمود وحده، لذلك سعي إلي عقد صفقة مع الامبراطور البيزنطي ليتقاسما مصر بينهما علي أن يمده الامبراطور البيزنطي بجيش يسانده، سار أموري بجيشه إلي مصر عام ١١٦٨م بدعوي أن شاور لم يدفع له الضرائب المتفق عليها، وهزم الجيش الفاطمي بقيادة شاور في بلبيس وسار إلي القاهرة، استنجد شاور بنور الدين محمود لينقذه من الصليبيين هذه المرة، قدر نور الدين خطورة سقوط مصر في يد الصليبيين، فقرر إرسال حملة ثالثة بقيادة شيركوه وصلاح الدين هذه المرة ليتخلص نهائياً من شاور والحكم الفاطمي والتهديد الصليبي ويضم مصر إلي الشام تحت إمرته[١٧].

أصبح شاور يائساً من مواجهة الهزيمة علي يد الصليبيين وجيش شيركوه، فعمد إلي اللعب علي الطرفين حيث قام بدفع ثلث ريع (أجمالي الناتج المحلي) مصر إلي نور الدين محمود ليحميه من الصليبيين، وفي الوقت نفسه قام بتحذير أموري من قدوم جيش نور الدين ليكسبه في صفه، ثم قرر شاور حرق مصر (الفسطاط) لعرقلة دخول الصليبيين القاهرة، وأمر أهل الفسطاط بترك بيوتهم ومحالهم والانتقال إلي القاهرة التي بناها المعز، وقام بإحراق الفسطاط عن آخرها، وظلت النار مشتعلة فيها ٥٤ يوماً، وكان الدخان يري علي مسيرة ٣ ايام، وبذلك ضاع كل أثر للفسطاط التي بناها عمرو بن العاص ولم يبق منها إلا جامع عمرو بن العاص[١٨].

---

[١٦] طقوش، محمد سهيل طقوش، *تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة*، الطبعة الثانية، دار النفاش للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٦.

[١٧] أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، *عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تح إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ص١٠٢.

[١٨] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تح شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٥٨٨.

عندما سار جيش الصليبيين بقيادة أموري لاعتراض جيش شيركوه، استطاع شيركوه الماكر بقواته السريعة أن يفلت منهم وأن يدخل القاهرة في ٦ من ديسمبر ١١٦٨م بدون أدني مقاومة، وكانت هذه المفاجأة كافية لأموري الذي وجد نفسه أمام جيوش مصر الفاطمية وجنود نور الدين في الشام وقد اتحدت ضده، فقام بسحب جيشه من مصر وعاد إلي بيت المقدس وقد ضاع حلمه بالاستيلاء علي مصر، أصبح شيركوه الحاكم الحقيقي لمصر ولكنه لم يعزل الخليفة الفاطمي، فقد كان الخليفة الفاطمي مريضاً مرضاً لا يرجي شفاؤه، فآثر شيركوه أن يتركه يموت في سلام، انحني شاور أمام شيركوه ليسترضيه وكان يأتيه بالهدايا كل يوم، ولكن صلاح الدين أصر علي قطع رأس شاور الخائن المستبد، وقام بالقبض عليه وقتله بعد موافقة الخليفة العاضد، وفرح المصريون فرحاً عظيما بمقتل شاور الخائن[١٩].

صلاح الدين الأيوبي يتولى حكم مصر

صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي المرواني الكردي، الملقب الناصر صلاح الدين، مقاتل وبطل من أبطال العروبة والإسلام، تتفق أغلب المصادر التاريخية أنه من أصل كردي، وولد في تكريت بالعراق عام ١١٣٧ م[٢٠].

نشأ صلاح الدين في بلاط عماد الدين زنكي، وهو أول من وحد العرب وقاتل بهم الصليبيين وأسقط إمارة الرها الصليبية، وكان أبوه نجم الدين يتولى حكم مدينة بعلبك من قبل عماد الدين، فقضي صلاح الدين طفولته في كنف أبيه في بعلبك، وحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث والمذهب السني.

عاصر صلاح الدين حوادث كبيرة شكلت شخصيته وشحذت فكره وبصيرته، فبحكم ملازمته لعمه أسد الدين شيركوه وعماد الدين زنكي، شهد صلاح الدين سقوط أول إمارة صليبية في يد المسلمين وهي إمارة الرها عام ١١٤٤م، فكان خبر سقوطها يوم عيد للمسلمين، كما أنه أهاج ملوك أوروبا وجعلهم يرسلون الحملة الصليبية الثانية.

---

[١٩] بن شداد، بهاء الدين بن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين*، تح الدكتور جمال الدين الشياك، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٧٥.

[٢٠] بن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، *مفرج الكروب في اخبار بني أيوب*، تح الدكتور جمال الدين الشياك، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م، ج١، ص٥.

وبعد مقتل عماد الدين زنكي، لازم صلاح الدين نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وانتقل معه إلي دمشق، ورأي صلاح الدين كيف قام نور الدين بتوحيد إمارات الشام الإسلامية وشكل جبهة موحدة من إمارات دمشق وحلب والموصل ضد الصليبيين[٢١].

وفي الخامسة والعشرين من عمره جاء صلاح الدين الأيوبي لأول مرة إلي مصر مع عمه أسد الدين شيركوه علي رأس حملة لإعادة شاور إلي كرسي الوزارة وضم مصر إلي تبعية نور الدين محمود زنكي، والحقيقة أن صلاح الدين قد خرج مكرهاً، فيروي أنه قال: "خرجت مع عمي كارهاً وانا كمن يقاد علي الذبح"، ولكن هذه الحملة زادت من خبرة صلاح الدين العسكرية وقدراته التفاوضية، فقد واجهت الحملة صعوبات كبيرة تمثلت في حصار الصليبيين لها في بلبيس لمدة ثلاثة أشهر، حتى اضطر شيركوه أن يوافق علي الخروج من مصر مقابل خروج الصليبيين أيضاً.

وفي الحملة الثانية وقع صلاح الدين مع حاميته تحت حصار الصليبيين له في الإسكندرية لمدة أربعة أشهر، واضطر شيركوه أن يدخل في مفاوضات مع اموري الصليبي لفك الحصار، وتم الاتفاق علي أن ينسحب أسد الدين شيركوه بجيشه من مصر وأن تدفع الضرائب من مصر لأموري ملك بيت المقدس في مقابل جلاء القوات الصليبية عن مصر، وكانت هذه المفاوضات هي أول اتصال مباشر بين صلاح الدين والصليبيين.

ويحسب لصلاح الدين أنه أدار المفاوضات بمهارة وحصل علي جلاء الصليبيين عن مصر، ويقول صلاح الدين عن فترة حصاره في الإسكندرية: "والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لا انساه أبدا"، ولكن حملة أسد الدين شيركوه الثالثة إلي مصر نجحت في صد حملة الصليبيين وإسقاط الخلافة الفاطمية، وتولي صلاح الدين وزارة مصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه في ٢٦ مارس عام ١١٦٩م، وبعد وفاة الخليفة العاضد الفاطمي، حكم صلاح الدين مصر منفرداً ولقب بالسلطان الناصر صلاح الدين، واستمر حكمه لمصر ٢٤ عاماً تقريباً[٢٢].

---

[٢١] علوان، عبد الله ناصح علوان، *صلاح الدين الايوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين*، الاصدار الاول، دار السلام للنشر، القاهر، ٢٠٠٧م، ص٩٣.

[٢٢] مقديش، محمود مقديش، *نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار*، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٩٢.

وكان عمر صلاح الدين وقتها لا يزيد عن اثنين وثلاثين عاماً، من الآن فصاعداً انتقل مركز القوي للعالم الإسلامي إلي مصر واستمر فيها إلي أن هزم العثمانيون الأتراك سلاطين المماليك ونقلوا هذا المركز إلي اسطنبول بعد ٣٥٠ سنة، أرسل نور الدين محمود إلي صلاح الدين يأمره أن يقوم بتحويل البلاد إلي المذهب السني والدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة بدلاً من الخليفة الفاطمي، ولكن صلاح الدين استمهله حتى يتوفى الخليفة العاضد المشرف علي الموت[٢٣].

ولكن نور الدين رفض التأجيل وخشي أن يكون صلاح الدين يماطل فهدده أنه سوف يسير إليه بحملة، وأرسل إماماً سنياً من الموصل إلي مصر في ١٠ سبتمبر ١١٧١م، فاعتلي المنبر في مسجد القاهرة ودعي الخليفة العباسي بدلاً من الخليفة الفاطمي، بعد ذلك أمر صلاح الدين بالدعاء للخليفة العباسي في خطبة الجمعة، ولكنه أخفى ذلك عن الخليفة الفاطمي العاضد، وقال: "دعوه يموت في سلام"، توفي الخليفة العاضد في ١٠ سبتمبر ١١٧١م، وهو الخليفة الفاطمي الرابع عشر وآخر الخلفاء الفاطميين وانتهت بموته الخلافة الفاطمية في مصر والتي استمرت حوالي ٢٠٠ عام، تولي صلاح الدين حكم مصر منفرداً بعد وفاة الخليفة العاضد ولقب بالسلطان الناصر صلاح الدين وحكم مصر ٢٤ عاماً تقريباً[٢٤].

بعد تولي صلاح الدين حكم مصر منفرداً، طلب منه نور الدين محمود أن ينضم إليه في هجومه الكبير علي الكرك، ولكن صلاح الدين لم يكن في عجلة من أمره وأراد أن يرتب أموره الداخلية أولاً، فاعتذر عن المشاركة في الهجوم وتعلل بمرض والده، كان علي صلاح الدين يرى أنه من الأفضل أن يتصدى أولاً للفتن الداخلية التي كانت تحاك ضد دولته الوليدة، ومنها محاولة بعض الشيعة العلويين إعادة الخلافة الفاطمية الشيعية، ومنهم عمارة اليمني شاعر الفاطميين، فتآمروا ضد صلاح الدين واتصلوا بملك صقلية النورماندي ودفعوا إليه بالأموال ليهاجم الشواطئ المصرية بسفنه، حتى إذا خرج صلاح الدين من القاهرة ليتصدى لهجومه يقوم المتآمرون بالوثوب علي بقية جنده في القاهرة ويعيدوا الخلافة الفاطمية، ولكن

---

[٢٣] بيومي، علي بيومي، *قيام الدولة الأيوبية في مصر*، الطبعة الأولى، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٥٢م، ص١١٢.

[٢٤] قطب، محمد علي قطب، *أبطال الفتح الإسلامي*، الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٨٥.

صلاح الدين علم بمؤامرتهم فبعث بمدد للحامية العسكرية في الإسكندرية ليصد الهجوم الصليبي، وقبض على مدبري الانقلاب وأعدمهم ومنهم عمارة اليمني.

عودة مصر للمذهب السني

أخذ صلاح الدين علي عاتقه تحويل مصر إلي المذهب السني، فأتبع سياسة الإزاحة والإحلال، إزاحة المذهب الشيعي وإحلال المذهب السني مكانه، وفي أيامه الأولي في الحكم أمر صلاح الدين بإلغاء أصول المذهب الشيعي في العبادات وهي: الأذان بحي علي خير العمل، بدلاً من حي علي الفلاح، والجهر بالبسملة في الصلاة، ومنع صلاة الضحى والتراويح، كما قام بمنع صلاة الجمعة في الجامع الأزهر وجامع الحاكم، واستمر هذا المنع مائة عام حتى أعاد الظاهر بيبرس فتح الجامع الأزهر سنة عام ١٢٦٦م، وحذف صلاح الدين من النقش الديني علي العملة المتداولة عبارة: "عليٌ ولي الله"، وأطلق الألسنة التي تشكك في نسب الفاطميين لآل البيت.

وأنشأ المدارس التي تدرس المذاهب السنية الأربعة، فإنشاء المدرسة الناصرية سنة ١١٧٠م بجوار الجامع العتيق لتعليم المذهب الشافعي، والمدرسة القمحية لتعليم المذهب المالكي، والمدرسة السيوفية لتعليم المذهب الحنفي، كما انشأ مدرسة سميت باسمه هي المدرسة الصلاحية سنة ١١٧٦م علي مساحة ضخمة من الأرض بجوار ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة.

أعمال صلاح الدين في مصر

اهتم صلاح الدين بتحصين القاهرة والموانئ البحرية لصد هجمات الصليبيين، وولي بهاء الدين قراقوش وزارة مصر فقام بتنفيذ خططه بكل همة ونشاط، ففي القاهرة أعاد بناء السور المحيط بها عام ١١٧٦م، وكان جوهر الصقلي قد بناه من طوب نيئ أولبن، ثم رممه بدر الجمالي وزاد فيه، إلا أنه في آخر أيام الفاطميين تهدم أكثره وأصبح يمكن عبوره من اي مكان، وكان سور القاهرة عبارة عن سورين، سور حول القاهرة التي كانت مقر الخليفة الفاطمي وقادته، وسور حول الفسطاط التي كانت تسمي مصر ويسكنها الأهالي، فرأي صلاح الدين أن ينشأ سور يدور حول القاهرة والفسطاط والقطائع والعسكر ليدمج القاهرة والعواصم التي سبقتها بعضها في بعض لتصبح القاهرة الجديدة عاصمة دولته، لذلك يعتبر صلاح الدين هو منشئ القاهرة الحالية فقد جعل منها مدينة واحدة بعد أن كانت ٤ مدن متلاصقة، وبعد أن كانت قاهرة

الفاطميين مقصورة على سكن الخلفاء الفاطميين وحاشيتهم شجع صلاح الدين أفراد الشعب على سكن القاهرة.

كما شرع صلاح الدين في بناء قلعة حصينة فوق جبل المقطم ليتخذها مقراً للحكم وسميت **قلعة الجبل**، ولكنه لم يسكن فيها لأنه لم يتم بناؤها إلا في عهد السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وهو ابن أخ صلاح الدين والذي حكم مصر في الفترة من ١٢١٨م و١٢٣٨م، ولم تكن القلعة معروفة لدي المصريين في ذلك الوقت فقد أخذ صلاح الدين الفكرة من قلاع الصليبيين في الشام وفلسطين، وظلت القلعة هي دار الملك في جميع العهود التالية حتى عهد محمد علي.

كما بني صلاح الدين شمال القاهرة برجاً هائلاً عرف بقلعة المقس (الماكس) أي جابي الضرائب أو قلعة قراقوش، واهتم صلاح الدين بعمل مراكز محصنة أو نقط حراسة في شبه جزيرة سيناء لأنها طريق عبور الصليبيين لدخول مصر من الشرق، فأمر بإنشاء سلسلة من القلاع أهمها قلعة صدر في قلب سيناء شرقي السويس وتزال آثارها موجودة إلي الآن.

وفاة صلاح الدين الأيوبي

وفي يوم السبت ١٦ صفر عام ١١٩٣م اعتراه الحمي الصفراء، فلما اشتد عليه المرض بويع لابنه الأفضل نور الدين علي، توفي صلاح الدين الأيوبي وهو يبلغ من العمر ٥٧ عاماً ودفن بداره بالقلعة بجوار المسجد الأموي بدمشق، وأقيم العزاء في المسجد الأموي لمدة ثلاثة أيام حضره الخاص والعام والرعية والحكام، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والدعاء له والابتهال، ولقد أمر القاضي الفاضل بدفن سيفه الذي جاهد به معه فيبعث معه يوم القيامة يتوكأ عليه حتى يدخل الجنة إن شاء الله[٢٥].

كان جواداً سجياً علي أمرائه وقواده، حتى علي أعدائه، وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، وكان مواظباً علي الصلوات في أوقاتها في جماعة حتى في أيام مرضه

---

[٢٥] المنجد، صلاح الدين المنجد، *رسائل ونصوص*، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد للنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٤.

الأخيرة، كان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث، خلف من الأولاد ١٧ ذكراً وأنثى واحدة.

ولقد استحق صلاح الدين بحماسه في جهاد الصليبيين تلقيب الخليفة له بمحيي دولة أمير المؤمنين، أما هو فقد نقش علي العملة عبارة: الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، لقد كان تحول صلاح الدين إلي السياسة وخطواته في حربه علي الصليبيين مليئة بالمواقف القدرية التي تشير جلياً إلي أن الله قد أعده ليتم علي يديه هذا العمل العظيم والفتح الكبير للمسلمين المتمثل في استعادة القدس وإنجاز خطوات كبيرة في طرد الصليبيين من بلاد المسلمين.

تقسيم الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين

تعرضت الدولة الأيوبية التي كانت تضم الشام وفلسطين ومصر إلي التقسيم بعد وفاة صلاح الدين نتيجة التنافس بين أفراد أسرته الذين وزعوا أقاليم الدولة بينهم، فكانت مصر من نصيب ابن صلاح الدين عماد الدين أبي الفتح عثمان الذي لقب بالعزيز، ودمشق من نصيب ابنه الثاني الأفضل نور الدين علي، وحلب من نصيب ابنه الظاهر غازي غياث الدين، والكرك والشوبك من نصيب العادل أخو صلاح الدين.

كما استقل أولاد عم صلاح الدين ببعض مدن الشام واليمن، وتنافس كل من العزيز والأفضل ابني صلاح الدين علي السيطرة علي بيت المقدس وتدخل عمهما العادل ليصلح بينهما لأنه كان يدرك خطورة الشقاق في هذا البقعة والصليبيون علي مقربة منهم علي السواحل، ولى العزيز الوزارة في مصر لعمه العادل الذي بدأ يثبت أقدامه في الحكم حتى أصبح صاحب السلطة الحقيقية حتى توفي العزيز عام ١١٩٨م في حادث صيد بعد ست سنوات من ولايته.

الصالح نجم الدين الأيوبي يحكم الدولة الأيوبية في مصر

تولي العادل الثاني سيف الدين أبوبكر حكم مصر بعد وفاة ابيه السلطان الكامل سنة ١٢٣٩م، مما أدي إلي أن يسعي أخوه الأكبر سناً الصالح نجم الدين أيوب لاستعادة حقه في تولي السلطنة، واتته الفرصة نتيجة سياسة أخيه التي أثارت مشاعر الأمراء عليه فقبضوا عليه واستدعوا الصالح نجم الدين أيوب الذي اصبح سلطاناً علي مصر عام١٢٤٠م.

واجه السلطان الصالح ثورات بعض طوائف الجند فبدأ في تكوين جيش جديد يخلص له ويطيعه فاشتري آلاف المماليك والأتراك الذين هجروا أوطانهم في آسيا الصغرى بسبب غارات المغول واتخذ الصالح أيوب منهم جيشاً منظماً، ويتضح من هذا أن السلطان الصالح لم يتعلم من العباسيين الذي فعلوا نفس الشيء واخذوا من العبيد جيوشاً وقادةً، وانتهي الأمر بهم أن أصبح الخلفاء العباسيون تحت رحمة هؤلاء القواد وأصبحوا مجرد واجهة للخلافة دون سلطة حقيقية، من أبرز آثار الملك الصالح في مصر قلعة الروضة التي أقام فيها مع مماليكه وتزوج من جارية أرمنية هي شجر الدر كان الخليفة العباسي قد أهداها له وأنجبت له ابنه الخليل.

نهاية الدولة الأيوبية

تولي توران شاه السلطة في نهاية ١٢٥٠م خلفاً لأبيه بمساعدة زوج أبيه شجر الدر، ولكن حكمه لم يدم أكثر من شهرين لاضطهاده لأمراء المماليك وشجر الدر فتآمروا جميعاً ضده وقتلوه.

نادى كبار رجال الدولة بشجر الدر سلطانة علي مصر عام ١٢٥٠م علي أن يكون المملوك عز الدين أيبك مقدماً للعسكر وبهاء الدين وزيراً لها، وكانت هذه المرة الأولي التي تتولي فيها امرأة حكم مصر منذ أيام الفراعنة. بلغت مدة حكمها ٨٠ يوماً أظهرت فيها جدارة وكفاءة وحسن تدبير، إلا أن الخليفة العباسي لم يقبل أن تتولي حكم مصر امرأة وخاصةً أنها كانت جارية لدي الخليفة العباسي نفسه، فأرسل إلي زعماء المماليك يقول لهم: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فاعلمونا نسير لكم رجلاً"، فاضطرت شجر الدر إلي التنازل عن الحكم لعز الدين أيبك المملوكي وتزوجته، وهكذا أسدل الستار علي الدولة الأيوبية في مصر التي دامت حوالي سبعين عاماً من ١١٧١م حتى ١٢٥٠م، ومن أعظم إنجازات هذه الدولة أنها ردت حملات الصليبيين علي المشرق وكسرت شوكتهم وأجلتهم عن كثير من الأقاليم المسلمة.

جاءت الدولة الأيوبية لتنفض عن مصر ترهل واسترخاء الخلافة الفاطمية التي ما كانت لتستطيع أن تصد الحملات الصليبية، ولقد أخرجت هذه الدولة قائداً فذاً هو صلاح الدين الأيوبي الذي ظل مضرب الأمثال لكل الأجيال اللاحقة للقائد المسلم الشجاع في حلم والجريء في حكمة والذي قاتل طوال حياته ليحرر الأرض المسلمة والفرد المسلم من طغيان الاحتلال، جاء صلاح الدين ثورة علي عصره الذي امتلأ بحكام وخلفاء يبيعون كل شيء من أجل أن يحتفظوا بسلطانهم ويتحالفوا مع أعداء الأمة الإسلامية ضد بعضهم البعض، ومن أبرز معالم

هذه الدولة أن مركز الخلافة الإسلامية انتقل إلي القاهرة، وأصبحت مصر الولاية الحاكمة لباقي ولايات الخلافة العباسية في الشام والعراق والحجاز واليمن.

٢.١. التعليم في عصر الأيوبيين في مصر

لقد تميز العصر الأيوبي بطابع خاص وهو طابع الجهاد والكفاح ضد الصليبيين، ومن ثم كان من الطبيعي أن تنعكس تلك الصورة على نفسية الشعراء والكتاب في جميع أنحاء الشرق العربي، فانطلقت ألسنتهم وأقلامهم تشيد بالانتصارات وأعمال البطولة وتمدح أبطالها المدافعين عن حوزة الإسلام وتعبر عن أمانيها بمستقبل أفضل، وكان صلاح الدين نفسه يتذوق الشعر ويردد بعضه في مجالسه ويميز الجيد من الرديء منه، كذلك كان مهتما اهتماما كبيرا في أحكام الشريعة وأصولها، وله مساجلات أيضا مع الفقهاء والعلماء في هذا الصدد[٢٦].

إن ازدهار الدعوة الإسلامية والثقافة والعلوم والتعليم في عصر دولة الحكم الأيوبي في مصر يعود إلى الحضارة العلمية والعمرانية والجهود والاموال التي بذلت في سبيل نشر الإسلام واستقطاب العلماء من كافة انحاء العالم الإسلامي. فإن التطور العمراني والحضاري قد خط أسطره في كتب التاريخ من بناء أسوار المدن الحضارية في مصر، وبناء قلاعها وحصونها وإحكام بناءها، وإنفاق الأموال ما لا تسمح به النفوس، وبناء المدارس للشافعية والحنفية وغيرها، وبناء الجوامع والمساجد مع حسن البناء والإتقان، وبناء البيمارستانات في البلاد، وكذلك بناء الخانات في الطرق لأمن الناس وحفظ أموالهم ومبيتهم فيها في الشتاء من البرد والمطر، وكذلك بناء الربط والخانقاوات في جميع البلاد للصوفية، وبناء مكاتب للأيتام، فإن كل هذا قد ساهم بشكل ملفت في نشر الإسلام والثقافة والتعليم وتعدد العلوم بين المسلمين في مصر في زمن عهد الحكم الأيوبي [٢٧].

أما بالنسبة للحياة العلمية والفكرية فقد اشتهر سلاطين بني أيوب وملوكهم بحبهم للعلم والعلماء[٢٨]، فكان صلاح الدين يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع اليهم ويشاركهم في أبحاثهم، وكان السلطان الكامل يحب أهل العلم ويؤثر مجالسهم ويناظر العلماء، وكانت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره

---

[٢٦] العبادي، أحمد مختار العبادي، *في التاريخ الايوبي والمملوكي*، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٢م، ص١٠١.

[٢٧] أبي شامة، *عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، ص٤٤.

[٢٨] المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م،ج١، ص٢٠٨.

ليسامروه[٢٩]، لذلك فلا عجب اذا اشتهر من بني أيوب أنفسهم أعلام في شتى ضروب المعرفة، فمنهم المؤرخ الشهير أبو الفدا[٣٠]، ومن مؤلفاته كتاب "المختصر في أخبار البشر"، ومنهم بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك المتوفي سنة ١٢٣١م وكان شاعرا أدبيا، ومنهم الملك ناصر بن الملك المعظم عيسى المتوفي سنة ١٢٥٨م وكان مشتغلا بتحصيل الكتب النفيسة ويجيز الأدباء، والملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق المتوفي سنة ١٢٢٧م وكان راغبا في الأدب وأهله [٣١].

كذلك ظهر تقدير سلاطين بني أيوب وملوكهم للعلم في عنايتهم بالمكتبات، وإذا كانت هذه رغبة سلاطين بني أيوب وملوكهم في العلم فإننا لا نعجب لكثرة ما أسسوه من مدارس درست فيها العلوم الدينية وغير الدينية وصارت مراكز لحياة علمية نشطة في ذلك العصر [٣٢].

أما الحياة الاجتماعية فكان لها تأثير واضح على تطور دولة الأيوبيين في مصر، ولدت الدولة الأيوبية في وقت كان الصليبيون بالشام قد بلغوا ذروة قوتهم حتى امتدد خطرهم بابتلاع البلدان الإسلامية، ليس بالشام وحسب، بل ايضا في مصر والحجاز، لذلك لم تكن هناك فرصة أمام الأيوبيين ليحيوا حياة اجتماعية مترفة، فإن أول ما فكر به الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عند وصوله إلى مصر كان تعمير القاهرة والعناية بأسواقها وإقامة المنشآت المتباينة فيها، ورعاية الحفلات الدينية والمبالغة في إحيائها، أما صلاح الدين الأيوبي فما كادت تستقر له الأمور في مصر، حتى فكر في بناء قلعة الجبل وبناء سور القاهرة وتحصين ثغور البلاد [٣٣].

وكصفتي باحث في هذه الدراسة المتعلقة بالتربية الإسلامية التي كانت قائمة في العصر الأيوبي في مصر بالإضافة إلى العصر المملوكي، يجب عليّ الاشارة إلى أن التربية الإسلامية لم يكن لها مفهوم منفرد أو درس خاص تدرس كمادة منفصلة عن باقي العلوم

---

[٢٩] عاشور، سعيد عبد الفتاح عاشور، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٣٩.

[٣٠] وهو عماد الدين اسماعيل ابن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن شاهنساه بن ايوب، وهو صاحب حماه المتوفي سنة ١٣٣١م.

[٣١] زيدان، جرجي زيدان، *استبداد المماليك*، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٠.

[٣٢] عاشور، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٠.

[٣٣] عاشور، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*، ص١٥٣.

الدينية، إلا أنها كانت مدمجة المفهوم والذاتية، فالتربية الإسلامية كانت تُفَهَم للفرد او المتعلم من خلال تدريس القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية الشريفة، وكل هذه الدراسات الدينية كانت تعطى في مراكز التعليم التي كانت موجودة في ذلك العصر بالإضافة إلى باقي العلوم كالطب واللغة والأدب وغيرها، ولغرض فهم هذه الدراسة المتعلقة بهذا البحث بشكل أوسع من حيث كمية المادة العلمية المعطاة في العصر الأيوبي في مصر يجب التطرق إلى العلوم المتنوعة ولو بشكل مختصر التي كانت قائمة في ذلك العصر، لأن تنوع العلوم يعطي دلالة على ثقافة المجتمع وقدرة الفرد في المجتمع على فهم المنهج النبوي الصحيح لبناء حياة أفضل، فسوف يتم التطرق بشكل مبسط على بعض العلوم التي كانت قائمة في العصر الأيوبي في مصر والتي تم تدوينها في بعض كتب التاريخ.

علم الطب

لم يكن في عهد صلاح الدين مدارس خاصة لدراسة الطب، بل كان الطب يدرس في المستشفيات ثم ينساب الطالب بعد المحاضرة بين المرضى ليعاين الأمراض ويعالج المرضى[٣٤]، وقد قام صلاح الدين ببناء مجموعة من المستشفيات في عصره منها[٣٥]:

- المستشفى الناصري في القاهرة، وهي في الحقيقة أحد قصور صلاح الدين الضخمة حولها إلى مستشفى ضخم كبير.
- بيمارستان الإسكندرية، والذي بناه صلاح الدين عندما دخل الإسكندرية سنة ٥٧٧هـ.

وكان هناك داخل البيمارستانات قاعات خاصة للمحاضرات الطبية والتي يلقي فيها رئيس الأطباء دروسه ويجتمع بها مع تلاميذه، في أيام الأيوبيين برزت كوكبة من الأطباء صنفوا في علوم الطب مؤلفات شتى، من بين هؤلاء الطبيب رضى الدين الرحبي الذي اتصل بصلاح الدين وعينه طبيبا لمعالجة المرضى في قلعة الجبل والماريستان الصلاحي، وقد ترك مؤلفين في الطب، والطبيب ابراهيم بن الريس أبو المنى وهو ابن الرئيس موسى بن ميمون، والعلامة جمال الدين أو الحسن القفطي صاحب كتاب "أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، وابن

---

[٣٤] مصطفى، شاكر مصطفى، *صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه*، الطبعة الثانية، دار القلم للنشر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٣٨٩.

[٣٥] الصلابي، علي محمد الصلابي، *صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٣٥١.

أبى أصيبعة الطبيب الذي درس الطب في القاهرة وهو صاحب موسوعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، وتشتمل على نحو اربعمائة من سيرة الأطباء العرب واليونان، والطبيب أبو البيان بن مدور، وزميله أبو المكارم هبة الله بن حسن جامع الذي اختاره صلاح الدين طبيبا له ولابنه[٣٦].

علم التاريخ

وهو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع الماضية وأوقاتها وأسبابها ونتائجها، وموضوعه الإنسان والزمان، فإن حاجة الإنسان إلى المعرفة كان قائما وموجودا على الدوام، وبمرور الوقت ومع اتساع الحضارة الإسلامية عند المسلمين شرقا وغربا تطور التدوين التاريخي عندهم وتعددت اتجاهاته وأنماطه، كما نمت المدارس التاريخية في الشام والعراق ومصر والمدينة واليمن وغيرها من البلاد، وما أن حل القرن ١٢م حتى أصبح التاريخ في عداد العلوم أو الفنون ذات الاصول الراسخة، وعلى قدر تعلق الأمر بالعصر الأيوبي فقد ازداد نطاق التدوين التاريخي عمقا واتساعا، وظهر في مصر وحدها عدد كبير من المؤرخين ممن ساهموا في إثراء الفكر التاريخي بما أخفوه من مصنفات تاريخية متنوعة بحث غطت كافة المجالات.

ومن أشهر المؤرخين في العصر الأيوبي هو إبراهيم بن أبي الدم الحموي والذي يعتبر مؤرخ العصر الأيوبي الأول، كان إبراهيم ابن أبي الدم عالماً فاضلاً، ومؤرخاً بحاثة، ومحدثاً فقيهاً، كما كان أديباً شاعراً، ولكني لم أعثر على شيء من منظوماته، وقد ذكر ابن عماد الحنبلي أنه كان إماماً في المذهب الشافعي، عالماً بالتاريخ، له نظم ونثر، ومن مؤلفاته التاريخ المظفري، وتاريخ ابن أبي الدم، والفرق الإسلامية، وشرح مشكل الوسيط، وأدب القضاء، وغيرها[٣٧].

العلوم الدينية

لعل أهم ما تتصف به الحياة الدينية في العصر الأيوبي هو تقويض المذهب الشيعي ودعم المذهب السني، فتم استخدام شتى الوسائل لدعم المذهب السني، فقد حذا صلاح الدين

---

[٣٦] عطية، جميل عبد المجيد عطية، *تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الاسلامية*، شركة العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م، ص٥٢٣.

[٣٧] محمد سهيل طقوش ، *تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة*، ص١٠٢.

حذو سيده نور الدين محمود في العمل على تقويض أركان التشيع، فاستخدم أساليب السياسة وإنشاء المدارس للفقه السني[٣٨].

وثمة ظاهرة دينية أخذت تزداد وضوحا في العصر الأيوبي، هي ظاهرة انتشار التصوف واتخاذه مظهرا جماعيا بعد أن كان في العصور السابقة يمثل اتجاها فرديا محدوداً، وصحب ذلك الإكثار من بناء دور ومنازل للصوفية عرفت باسم الخانقاوات، في حين عرف الصوفية باسم الفقراء[٣٩].

لذلك اهتم بنو أيوب وملوكهم بالعلوم الدينية بكافة تفرعاتها، فمنها علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الفقه وأصوله، وعلم التربية الإسلامية، ومما يترتب على ذلك فقد أهتم بنو أيوب بعنايتهم بالمكتبات وإنشاء المدارس للعلوم الدينية، وكانت المدارس في العصر الأيوبي أشبه بالجامعات اليوم، فهي مهد للعلم ولكل مدرسة مذهبها الذي تتبعه، ويوجد مدارس تشمل أربع كليات للمذاهب الأربعة، وقام بالتدريس في المدرسة مدرس أو أكثر اختير من مشايخ علماء عصره وأوسعهم علما وأبعدهم صيتاً[٤٠].

ومن أهم عناصر الثقافة السنية التي اهتم بها الأيوبيون[٤١]هي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، وأصول العقيدة السنية، والدراسات الفقهية، وسوف نتطرق لهذا الموضوع بشكل مفصل في المبحث المتعلق بالتربية الإسلامية في عهد الأيوبيين في مصر.

العلوم الطبيعية

اشتهرت العلوم الزراعية وعلم الاقطاع في زمن الأيوبيين والتي هي أساس الحياة الاقتصادية في مصر، فبالزراعة اشتغلت غالبية أهلها، وعلى الإنتاج الزراعي عاش معظم سكانها، ومن المعروف أن مصر لم تستخدم الري الدائم لأول مرة إلا في القرن التاسع عشر للميلاد، لذلك تم الاعتماد على الري الحياض، فعن طرق معرفة الأساليب الزراعية عند

---

[٣٨] عاشور، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص١٣٧.

[٣٩] المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص٤١٥.

[٤٠] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٨م، ج٢، ص ١٥٧.

[٤١] علي محمد الصلابي، *صلاح الدين الأيوبي*، ص٢٦٠.

الأيوبيين، التجأ الأيوبيون إلى تقسيم الاراضي الزراعية إلى حياض كبيرة تغمر بمياه الفيضان مدة كافية ثم تصريف تلك المياه لتبذر البذور، وهي طريقة الحياض[٤٢]، فقد أدى اتباع هذه الطريقة إلى جعل البلاد والعباد تحت رحمة الفيضان، فاذا جاء مستوى الفيضان طبيعيا تمكن الناس من الزراعة وظهر المحصول طبيعياً في مقداره وأثمانه، أما اذا جاء الفيضان منخفضا دون وفاء النيل، ضعف المحصول وارتفعت اسعار العلال، مما يترتب عليه حدوث المجاعات وانتشار الأوبئة في البلاد، فلا يحيى الفلاح حياة آمنة مستقرة طالما كان تحت رحمة الطبيعة وتحت رحمة الحكام من جهة أخرى.

أما بالنسبة لعلم النظم الإقطاعية، فإن سلاطين بني أيوب كانوا يجدون أنفسهم في حاجة إلى المحاربين والفرسان المزودين بالسلاح والخيول، مما يتطلب الامر أموالاً ونفقات كثيرة لا تتحملها مواردهم، فيلجئون إلى توزيع الأراضي في صورة إقطاعات على الأمراء والجنود مقابل ما يؤده من خدمة عسكرية، فيتمتع المقطع بالأرض المقطوعة له طالما هو يؤدي الخدمة العسكرية المتفق عليها في شروط عقد الاقطاع [٤٣]. فكان من المنتظر أن يؤدي أنتشار النظام الإقطاعي إلى سوء حال الفلاحين، ولكن إدارة الدولة الأيوبية حرصت على حماية الفلاحين من عسف السادة الإقطاعيين، فكان التوقيع على الإقطاع يأمر بالعدل والاهتمام بالقضاء وعدم أخذ الرشوة وحسن الجوار.

علم الاقتصاد والمالية

أدى انتقال النظام المالي في الدولة الأيوبية من الاقتصاد النقدي إلى الاقتصاد الاقطاعي إلى ضعف ديوان المال، ثم زواله ليحل محله ديوان جديد اختص بالنظر في جميع الشئون المالية في الدولة من إيرادات ومصروفات، ولذا سمى بديوان النظر[٤٤].

أما عن طرق إدارة الايرادات فقد تنوعت مواردها [٤٥]، فمنها:

---

[٤٢] ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، *كنز الدر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب*، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢م، الجزء السابع، ص١٤٨.

[٤٣] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٦.

[٤٤] ربيع، حسنين محمد ربيع، *النظم المالية في مصر زمن الايوبيين*، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م، ص٤٠.

- إدارة موارد الاقطاع الحربي.
- إدارة موارد الحراج (وهي الأشجار السنط التي وجدت بكثرة في بعض أنحاء البلاد) والمعادن.
- إدارة موارد الجوالي والتي هي الضريبة المفروضة على أهل الذمة أي النصارى واليهود القادرين على حمل السلاح.
- إدارة موارد المواريث الحشرية وهم الذين يموتون دون وريث.
- إدارة موارد الدور والحوانيت والطواحين والاراضي.
- إدارة موارد الاموال الهلالية وهي الايجارات الشهرية المتحصلة من الجهات السكنية الخاصة بسلاطين بني أيوب.
- إدارة موارد دار الضرب والتي هي الرسوم التي تجبيها الدولة من أصحاب الاموال الذين يرغبون في سك ما لديهم من ذهب أو فضة في شكل عملة رسمية.
- إدارة موارد المكوس، وهي الضرائب التجارية، ومعظمها غير شرعي، وقد ألغى صلاح الدين معظم المكوس الفاطمية سنة ١١٧١م.
- إدارة موارد تجار الكارم، وهي الضريبة المفروضة على التوابل الواردة إلى البلاد.
- إدارة موارد مكس الخمس، وهي الضريبة المفروضة على ما يجلبه التجار الاوربيين وغير المسلمين من بضائع.

أما بالنسبة إلى إدارة المصروفات للدولة الأيوبية فكانت عديدة [٤٦]، منها:

- إدارة مصروفات المطبخ السلطاني والأسمطة والخيول السلطانية في الأعياد وغيرها.
- إدارة الهدايا والمنح والهبات التي كانت تخرج باسم السلطان.
- إدارة مصروفات ديوان الجيش، الإنفاق على الجند وشئون التعبئة والأسلحة والمؤن والحاميات والحصون والتحصينات والمواقع والمدن العسكرية، وكذلك ديوان الأسطول.
- إدارة مصروفات المؤسسات الخيرية، مثل المساجد والخانقاوات والمدارس والبيمارستانات وغيرها.

---

[٤٥] ابن مماتي، سعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا ابن مماتي، *كتاب قوانين الدواوين*، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٣٢.

[٤٦] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٥٩.

فقد تعرضت البلاد في بداية الدولة الأيوبية لضائقة مالية بسبب هروب الذهب منها، نتيجة لعدم الاستقرار في أواخر العصر الفاطمي، ولكن الدولة الأيوبية بأسلوبها الإداري المالي أعادة إصلاح هذا الخلل بسرعة وحزم عن طريق سك عملة ذهبية جديدة سليمة العيار، مما أعاد الثقة إلى سوق المال[٤٧].

علم الفنون القتالية والعسكرية

الدولة الأيوبية جاءت وليدة أحداث الحروب الصليبية، وقد قدر للدولة الأيوبية أن تعاصر أشد مراحل الحروب الصليبية ضراوة وعنفا على مسرح الشرق الأدنى، لذلك كان من الضروري الاهتمام بالجيش والأساليب القتالية في تلك الفترة، وقد قدم سنة ١١٧١م عندما كان صلاح الدين نائبا في مصر عن سيده نور الدين محمود عرضا عسكريا في القاهرة شهد رسل البيزنطيين والصليبيين، فشارك في ذلك العرض نحو أربعة ألف فارس، كل فارس منهم مزود بمتاعه من الخيل وغير ذلك ولكل منهم غلام يحمل سلاح الحرب، وكان صلاح الدين هو أول من بدأ سياسة العلم في الإقطاع الحربي والذي بلغ ذروته في عصر السلاطين المماليك (كما سنرى في المبحث الذي يتضمن العلوم في عصر المماليك)[٤٨].

أهتمت الدولة الأيوبية بدراسة تنظيم الجيش، وقد اعاد صلاح الدين تنظيم الجيش عدة مرات، حيث بلغت عدة الجيش الأيوبي في مصر ٨٦٤٠ فارسا منهم ١١١ أميرا، ٦٩٧٦ فارسا من الطواشية، ١٥٥٣ جنديا عاديا، وبالإضافة إلى الجيش الدائم، ضم جيش صلاح الدين فرقا مساعدة من التركمان والأكراد والعربان وغيرهم الذين كانوا بمثابة جند غير نظاميين يعملون مقابل أجور معينة يتقاضونها[٤٩]، فكان تنظيم الجيش ينقسم إلى أطلاب، كل طلب يتكون من عدد يتراوح بين ٧٢٠٠ جندي تقريبا.

أما بالنسبة إلى الأسطول المصري فكان بحالة سيئة عند قيام الدولة الأيوبية بسبب الخلل الذي أصاب كافة أجهزة الدولة في أواخر العصر الفاطمي، فضلا عن فقدان جزيرتي قبرص وكريت كانتا بمثابة القواعد الأمامية للأساطيل الإسلامية في شرق حوض البحر

---

[٤٧] المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، ج١، ص٤٥.
[٤٨] المقريزي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)*، ج١، ص٨٦.
[٤٩] أبو شامه، *عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، ج٢، ص٧٦.

المتوسط، لذلك أخذ صلاح الدين يهتم بالأسطول اهتماما بالغا، وقام ديوان الأسطول بالإشراف والإنفاق عليه، وخصص لذلك الديوان مبالغ وموارد هامة[٥٠]، فعاد بعد ذلك الأسطول قوة ضاربة قوامها ثمانون قطعة، منها ستون من المراكب الضخمة المزودة بالأبراج والقلاع وتحمل الواحدة منها مائة وخمسون رجلا، وعشرون من السفن سريعة الحركة تدعى بالطرادة تحمل الخيول والفرسان[٥١].

فاهتمت الدولة الأيوبية بالعلوم القائمة على طرق تنظيم الجيش والأساطيل، وطرق تدريس الأساليب القتالية بالنسبة للجنود والفرسان والقائمين على التدريس الفنون القتالية، بالإضافة إلى تنظيم صرف الرواتب لجميع القائمين على نظام الدفاع للدولة الأيوبية [٥٢].

علم الفنون المعمارية والصناعية

ازدهر فن العمارة الإسلامية في العصر الأيوبي بعنصرين مهمين من الفنون المعمارية[٥٣]، أولهما عمارة المدارس التي أخذت تنتشر انتشاراً سريعاً انتهض بدور بارز في الحياتين الثقافية والمذهبية، وثانيهما تطور بناء الأسوار والاستحكامات والقلاع وفق ظروف الحرب ضد الصليبيين[٥٤]، حيث كان صلاح الدين الأيوبي يخشى خطرا داخليا من جانب أتباع الفاطميين وشيعتهم وخطرا خارجيا على البلاد من جانب الصليبيين، لذلك أمر سنة ١١٧٦م ببناء سور يحيط بالقاهرة، أما قلعة الجبل فتقع على أحد المرتفعات المتصلة بجبل المقطم، وهي مؤلفة من مساحتين من الأرض مستقلتين، الشمالية تقترب من شكل المستطيل ولها أبراج بارزة ويفصلها عن الجنوبية جدار سميك ذو أبراج، وفي وسط هذا الجدار باب القلعة الذي يعرف الآن باسم الباب الجنوبي، والجزء الجنوبي من القلعة يضم الملحقات والقصور السلطانية وما يتبعها من اصطبلات وغيرها، وفي الجهة الجنوبية من القلعة نحت قراقوش بئرا في الصخر أطلق عليه بئر الحلزون ويتألف من طابقين عمق الأول خمسون مترا والثاني أربعون مترا [٥٥].

---

٥٠ حسنين محمد ربيع، *النظم المالية في مصر زمن الايوبيين*، ص٧١.
٥١ المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، ج١، ص ٧٢.
٥٢ عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٦٢.
٥٣ عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٦٧.
٥٤ حسن، زكي محمد حسن، *فنون الاسلام*، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي للنشر، ١٩٨١م،ص٦٨.
٥٥ القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، *صبح الاعشى*، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٦م،ج٣، ص٣٧٦.

وثمة قلاع أخرى بناها صلاح الدين في العديد من أنحاء البلاد أهمها قلعة سيناء قرب عين صدر، وقلعة فرعون في جزيرة فرعون في خليج العقبة، أما بالنسبة للعمائر المدنية فأهم ما بقى منها اليوم قبة الإمام الشافعي التي أنشأها السلطان الكامل سنة ١٢١١م، وتمتاز بما فيها من نقوش وزخارف مع ملاحظة أن كثيراً من الأمراء قاموا بتجديدها في العصور التالية.

أما عن فن الحفر على الخشب في العصر الأيوبي احتفظ بالأساليب الفنية التي كانت متبعة في العصر الفاطمي وان كانت الزخارف النباتية قد بدت أكثر اتقانا، كما حل خط النسخ محل الخط الكوفي، ومن روائع أمثلة الحفر على الخشب في العصر الأيوبي، تابوت الأميرة العادلية بضريح الإمام الشافعي، في حين أن تابوت هذه الإميرة نفسه يعتبر من أعظم المنتجات الخشبية في العصر الأيوبي[٥٦]، أما النحت على الحجر والجص فقد حافظ في العصر الأيوبي على الأساليب التي كانت سائدة في العصر الفاطمي، ومثال ذلك المنارة الأيوبية فوق الباب الاخضر بالمشهد الحسيني بالقاهرة[٥٧]، وكذلك واجهة تربة أبي منصور إسماعيل وفيها كتابة بالنسخ على أرضية نباتية وافريز من زخارف هندسية، وكذلك الحفر في العاج زمن الأيوبيين.

أما صناعة الزجاج فقد ازدهرت في العصر الأيوبي وهي بداية العصر الذهبي لصناعة الزجاج في العالم الإسلامي، حيث بلغت صورها في إبداع التزين للتحف بالزخارف المذهبة والمموهة بالمينا[٥٨]، وكذلك ازدهرت الصناعة المعدنية على يد الذين هاجروا من الموصل إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري تحت تأثير عدم الاستقرار الذي ساد بلاد المشرق الإسلامي وقد اشتغل هؤلاء الفنانون لحساب الأمراء الأيوبيين في القاهرة[٥٩]، وفي صناعة المنسوجات فقد ورث العصر الأيوبي عن العصر الفاطمي أساليب صناعة الأقمشة ذات الزخارف المنسوجة، ولكن كانت منسوجات العصر الأيوبي أكثر بساطة من أقمشة العصر الفاطمي[٦٠].

---

[٥٦] ديماند، م. س. ديماند، *الفنون الإسلامية*، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم أحمد فكري، الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر للنشر، ١٩٨٢م، ص ١٢٢.

[٥٧] حسن، زكي محمد حسن، *أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية*، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص١٢٣.

[٥٨] ديماند، *الفنون الإسلامية*، ص٢١٨.

[٥٩] حسن، *أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية*، ص٥٤٩.

[٦٠] ديماند، *الفنون الإسلامية*، ص ٢٥٧.

ويتضح من هذا أن عجلة العلوم والفنون لم تتوقف في العصر الأيوبي، أن صليل السيوف في ذلك العصر لم يعرقل تيار التقدم الحضاري، اذ بالمدارس تشيد، والمكتبات تنشأ، والحصون والقلاع تبنى، والصناعات والحرف والفنون تزدهر، لتساهم في إقامة أعظم بناء حضاري عرفه العالم في العصور الوسطى، هو بناء الحضارة الإسلامية [٦١].

[٦١] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٧٢.

٣.١. التربية الإسلامية في العهد الأيوبي

بما أن هذا البحث يتضمن بشكل أساسي موضوع التربية الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر، فيجب أولا معرفة مفهوم التربية الإسلامية وأهمية التربية الإسلامية وكذلك سماتها، فبشكل مختصر سوف نستعرض هذه الأمور الثلاثة لفهم الموضوع المخصص في هذه الدراسة.

مفهوم التربية الإسلامية

التربية في اللغة تتضمن دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة، فمنها:

- الإصلاح، وقد لا يقتضي الزيادة، وإنما التعديل والتصحيح.
- النماء والزيادة: أي نماها وأتمها وأصلحها.
- نَشَأَ وترعرع: أي ربي على شيء.
- تولى الأمر: أي لزام وقيادة القوم.
- التعليم: وهو ما بين العالم والمتعلم.

وكل هذه التعريفات اللغوية تدل على الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينميه، وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني، وأما التربية الإسلامية في القرآن فهي بمعانٍ متقاربة، منها ما يلي: الحكمة والعلم والتعليم، والإصلاح، والتأديب، والرعاية، والتهذيب، والتطهير، والتزكية، والتنشئة، ويمكن تعريف التربية الإسلامية بأنها تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي[٦٢].

---

[٦٢] الحازمي، خالد بن حامد الحازمي، *أصول التربية الإسلامية*، الطبعة الأولى، دار علم الكتب للطبع والنشر والتوزيع، الدينة المنورة، ٢٠٠٠م، ص١٦.

أهمية التربية الإسلامية

العلم وحده لا يكفي، فلا بد من تربية الإنسان ليطبق ما تعلمه بالإتباع والامتناع، وكذلك ليربي من هو مسؤول عن تربيتهم بوسائل التربية الشرعية المختلفة، لذلك فإن التربية الإسلامية لها عدة أسباب منها:

- أهمية التربية للفرد تتضمن بالطاعة لله تعالى، وأمن نفسي للفرد نفسه، وتعلم تقدير وحب المجتمع، أداء لحق المسؤولية، ومصدر للسعادة، وثواب للآخرة.
- أن العلم وحده لا يكفي لتعديل سلوك الإنسان.
- مداهمة بعض المصنفات التربوية الغربية للعالم الإسلامي، وما تحمله من أفكار واتجاهات مخالفة للمنهج الإسلامي، فيجب التصدي لها من خلال التربية الإسلامية.
- تأثر بعض الكتاب في التربية التي لها سمات غربية، ونقلوها عن طريق الترجمة والاقتباس.
- حاجة الآباء والمعلمين والمؤسسات التربوية والاجتماعية إلى معرفة الأساليب التربوية الإسلامية.
- دراسة التربية الإسلامية تساعد على وجود مصنفات علمية تبين واقع المؤسسات التربوية، وحاجاتها، وقضاياها، والأساليب العلاجية لها[٦٣].

سمات التربية الإسلامية

تميزت التربية الإسلامية بخصائص الكمال والتوازن والواقعية، مما أضفى على منهجها الشمول في جميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان، وبما يتوافق مع الفطرة الإنسانية، ومن أبرز تلك الخصائص هي: الربانية، والشمول والتكامل، والتوازن، والثبات والمرونة، والواقعية[٦٤].

---

[٦٣] الحازمي، *أصول التربية الإسلامية*، ص٢٨.
[٦٤] الحازمي، *أصول التربية الإسلامية*، ص٤٥.

١.٣.١. الفكر التربوي الإسلامي في عصر الأيوبيين في مصر

أخذ الجانب الديني في العملية التعليمية المكانة الكبرى، وقد ترسخ ذلك وتطور نظرًا لأن تدريس القرآن وعلومه والفقه ينظر إليها على أنها أهم العلوم الواجب تدريسها، لذلك ركز المفكرون على الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم والمتعلم، فقد برز تأثير ظهور المدارس وترسخها كمراكز علمية، فقد كانت عناية صلاح الدين الأيوبي والسلاطين الذين جاءوا بعده لتمكين مذهب أهل السنة في البلاد التي حكموها بعناية شاملة ومكثفة، ومن أهم عناصر التربية الإسلامية التي اهتم بها الأيوبيون[٦٥]:

- القرآن الكريم، اهتم الأيوبيون بتلقين القرآن الكريم للصغار، وتحفيظهم إياه في البلاد التابعة لهم، حيث أمر صلاح الدين بعمارة أماكن خاصة ومتعددة في مصر ورتب فيها معلمين للقرآن الكريم يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة.
- الحديث الشريف، أهتم الأيوبيون بالحديث الشريف اهتماماً عظيماً، وكان هذا الاهتمام تلبية لحاجتين ملحتين واجههما المجتمع الإسلامي في مصر والشام، إحداهما عامة، والأخرى: خاصة ببعض البيئات، أما العامة: فهي أن المسلمين كانوا يواجهون عدواً يتربص بهم الدوائر، ويعبث بمقدساتهم، وكان الاهتمام بتحريض المؤمنين على قتالهم يتطلب عناية كبيرة بالحديث الشريف، لذا وجدنا صلاح الدين شغوفاً بالحديث وكان يردده ويسمعه ويسعى لسماعه، ويشجع على التأليف فيه، وأما الحاجة الخاصة التي تطلب مزيداً من الحفاوة بالحديث الشريف، فكانت تتعلق بالبيئات التي ساد فيها النفوذ الشيعي فترة من الزمن، ذلك أن الشيعة لا يصححون من الأحاديث إلا ما رواه أهل البيت فقط، وما ينسبونه إلى أهل البيت لا يخلو من الوضع والأكاذيب، كروايات زرارة وجابر الجعفي وغيرهما من الكذبة، لذلك كانت العناية بالحديث الشريف في مصر إحياء لهذا الجانب من جوانب الثقافة والتربية السنية.
- أصول العقيدة السنية، فقد أهتم الأيوبيون بالمحافظة على أصول العقيدة على مذهب الإمام الأشعري، فقد كان من العلماء الذين حملوا لواء العلم في كل ميادينه وصنوفه،

---

[٦٥] الصلابي، *صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ص٢٦٠.

ويعد من العلماء الذين جمعوا بين شتى العلوم والفنون، فلقد شهد الكثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري إلى مذهب السلف الصالح.

- الدراسات الفقهية، أهتم الأيوبيون بهذا الفرع من فروع الثقافة السنية اهتماما كبيراً، وذلك من خلال المدارس التي أنشؤوها وجعلوها وقفا على المذاهب الفقهية الأربعة، فمثلا المدرسة الفاضلية التي أوقفت على الشافعية والمالكية، ومدرسة الظاهرية بحلب التي أوقفت على الشافعية والحنفية، ومدرسة الصالحية بالقاهرة التي أوقفها صلاح الدين على المذاهب الأربعة السنية، إلا أن عناية الأيوبيين بمدارس الشافعية كانت أكثر على اعتبار أن المذهب الشافعي كان المذهب الرسمي للدولة، وهو الذي عليه القضاء ويعتنقه جميع الأيوبيين لم يشذ عنهم في ذلك سوى الملك المعظم عيسى بن العادل الذي كان حنفي المذهب، واقتدي به بنوه في أتباعه.

وقد تأثر الفكر التربوي في عصر الأيوبيين بما طرحه التربويون الإسلاميون في مجال التعليم والتعلم وأساليب التدريس، لذلك سوف يتم إلقاء الضوء على بعض المفكرين التربويين الذين تأثرت بهم الدولة الأيوبية سواء أكان علم هؤلاء المفكرون قد وصل إلى الدولة الأيوبية عن طريق تنقل المفكرين بين مختلف الدول الإسلامية أو عن طريق سفر طلاب العلم من دولة إلى أخرى أو عن طريق اهتمام بعض المؤرخين بكتابة ونقل أخبار الدول الإسلامية وبما يحدث بها، ومن أبرز آراء هؤلاء المفكرين هو مفكر التربوي ابن سحنون وهو فقيه مالكي عاش في القرن الثالث الهجري، وقد كتب رسالة قصيرة بعنوان آداب المعلمين، تحتوي على أكثر من ستا وعشرون صفحة، ولكنها ذات قيمة كبيرة ودلالات كثيرة مهمة، ويمكن اعتبار كتاب ابن سحنون مرآة تعكس التربية والتعليم في العالم الإسلامي، وقد أشار في كتابه إلى فضل العلم وأهله بالاستناد إلى الأحاديث النبوية ومن دراسة القرآن الكريم، فهي ذات أهمية بإزالة الجهل وحفظ الدين وتحقيق السعادة، فالعلم واجب على كل مسلم ومسلمة[٦٦].

وقد أشار ابن سحنون إلى الأمور التي يجب على المعلم أخذها بنظر الاعتبار فمنها: أن يعلم طلابه أن يستخدموا ماء الورد عند إزالة كتابة تتضمن قول الله تعإلى، وأن يأمرهم

---

[٦٦] ابن سحنون، ابي عبد الله محمد بن سُحنون ابن عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني، *آداب المعلمين*، تح حسن حسني عبد الوهاب، مطبوع ضمن كتاب التربية في الإسلام لأحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢٥٣.

بالصلاة متى بلغوا السابعة من العمر، وأشار إلى تحديد مكان التعليم أين ومتى يسمح للطالب بقراءة القرآن فيجب أن يكون المكان طاهراً، وأن لا يسمح للصبي اذا بلغ سن الحلم أن لا يقرأ القرآن إلا إذا كان على طهارة، وكذلك يجب على المعلم أن يعلمهم العادات والتقاليد حتى تربو في أنفس الطلبة وينشئوا عليها[٦٧]، كما ذكر أن هناك بعض أنواع العلوم يستحسن أن يتعلمها المسلم تطوعاً ومنها كتابة الرسائل والحساب والشعر والخطابة والنحو.

وكذلك الفكر التربوي عند القابسي شخصية عاشت في القرن الخامس الهجري، وتنقل القابسي بين المشرق والمغرب في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فيقول القابسي: إن تعلم القرآن وتعليمه ضرورة أولى، حيث إن تعلم القرآن يساعد على فهم الدين وتثبيت الإيمان في نفوس المسلمين، وأشار إلى أن الإنسان الصالح هو الذي يتحلى بالأدب، ويقرأ ويتعلم باستمرار، وأشار القابسي إلى ان المعلم يعتبر أجيرا عند تعليم الصبيان أو الطلاب، فيجب أخذ أجره مقابل جهوده، ويجب أن يحدد مكان للتعليم كقاعة خاصة معينة[٦٨].

وقد أشار القابسي إلى مناهج الدراسة وطرائق التعليم بالنسبة للمعلمين، وأن هناك مواضع إجبارية يجب على الطالب أن يدرسها كالقرآن الكريم، والفقه، والكتابة، والخط، وهناك مواضيع اختيارية للطالب مثل الحساب، والنحو، والشعر، ويفضل ان يوافق أهل الطالب عليها، وأشار إلى ضرورة التوجيهات الدينية والخلقية واحترام المساجد، وأشار إلى تنظيم اليوم الدراسي وكتابة الساعات الدراسية في كتاب، وأن يبدأ اليوم الدراسي عند الضحى، وينتهي عند المساء مع وجود وقت خاص للغداء، وأشار القابسي إلى الطريق الذي يجب أن يسلكه المعلم ليستحق الأجر الذي يتقاضاه فيجب أن يكون رحيماً ورفيقاً مع الطلاب وأن يكون عادلاً وينظر في صلاحهم وأدبهم وأن يقيم العلاقات الحسنة فيما بينهم[٦٩].

---

[٦٧] ابن سحنون، *آداب المعلمين*، ص265 .

[٦٨] القابسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي القيرواني، *الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين*، تح أحمد خالد، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م، ص٢٩٦.

[٦٩] القابسي، *الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين*، ص٣٠٨.

وكذلك الفكر التربوي عند مسكويه، وهو من أبرز مؤرخي القرنين الرابع والخامس الهجريين، ومن أبرز مؤلفاته كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، وقد أشار في كتابه إلى عدد من الركائز الأساسية في التربية[٧٠]، وهذه الركائز هي:

أولاً: أهمية معرفة استعداد الطلبة والفروقات الفردية بين الطلبة، وتعليمهم مع ما يتناسب مع قابليتهم للتغير والتطوير.

ثانياً: الغاية من التعليم هي تعديل سلوك المتعلم من خلال نظام تربوي وتعليمي خاص يتناسب مع النمو النفسي والجسماني للطالب.

ثالثاً: إن التعليم لا ينحصر على المواد العلمية والأدبية فقط، بل يجب التركيز على التربية الجسمية أيضاً بأن يسمح للصبيان باللعب في بعض الأوقات ليستريح من تعب التعليم والأدب[٧١].

ويرى مسكويه بالنسبة لطريقة التربية والتعليم أن تشتمل على مراحل متدرجة الأسلوب، وهذا التدرج في عملية التربية يجب أن يتناسب مع مراحل النمو بالنسبة للطالب أو الطفل، فيجب على الطفل أن يتعلم آداب الطعام وعدم الإسراف في الأكل، وبعد ذلك يتعلم الطفل كيف يتحكم بمشاعره والحفاظ على كرامته، والمرحلة الأخيرة من التعليم هي تعلم العلوم والآداب والمعارف.

وآراء الفكر التربوي عند ابن عبد البر، وهو من علماء القرن الخامس الهجري، وقد أهتم بالتربية والتعليم في كتابه "جامع البيان"، وقد ربط ابن عبد البر بين أساس كتابه مع حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذي يقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٧٢]، ودعوته إلى رفع الجهل ومحو الأمية والعمل بالعلم وعدم التفريق بينهما، وقد أشار ابن عبد البر إلى الكثير من الآداب التي يجب ان يتحلى بها طالب العلم ومنها: التواضع، وترك الادعاء بما لا

---

[٧٠] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، *تهذيب الأخلاق*، تح قسطنطين زريق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص96 .

[٧١] ابن مسكويه، *تهذيب الأخلاق*، ص ١٢٨.

[٧٢] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، تح وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٢م، ج١٠ ، حديث رقم ١٠٤٣٩.

يقدر عليه، والترحيب بالأحداث وتعليمهم والتلطف بهم، واحترام العالم والتأدب معه بحضرته[٧٣].

وأشار ابن عبد البر إلى أنواع العلوم وقسمها إلى ثلاث أنواع:

النوع الأول: علم أعلى، وهو العلم الذي لا يجوز لأحد الكلام به بغير ما أنزل الله تعإلى في كتابه وسنة نبيه.

النوع الثاني: علم أوسط، وهو معرفة علوم الدنيا ومعرفة علم الطب والهندسة.

النوع الثالث: علم أسفل، وهو ما يتعلق بمعرفة الصناعات وحرفة الأعمال[٧٤].

ومن هذا يمكن معرفة أهمية العلوم الدينية مقارنة مع باقي العلوم.

وآراء الفكر التربوي عند الزرنوجي، وقد أشار الزرنوجي من خلال كتابه "تعليم المتعلم" بأن العلم هو: "كل ما يحتاج اليه من المعارف الضرورية، يأتي في مقدمتها العلوم الدينية"، وجعل الغاية من طلب العلم إقامة الدين[٧٥]، وقد أشار إلى أن المتعلم له الحق في وضع خطة لطريقة سير دراسته واختيار العلم الذي سوف يدرسه واختيار المدرس الذي سوف يدرسه، وأن يأخذ المتعلم ما يخطط له بالمشورة لكي تساعده على انتقاء الاختيار وعدم الوقوع بالأخطاء.

٢.٣.١. إدارة المؤسسات التعليمية في عصر الأيوبيين في مصر

عرف العالم الإسلامي في العصر الأيوبي أنواعا متعددة من المؤسسات العلمية والدينية شملت في معظمها المدارس والمساجد والبيمارستانات وغيرها من المراكز والمرافق الأخرى،

---

[٧٣] ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تح ابي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م، ص ٥٠١-٥١٥.

[٧٤] ابن عبد البر، *جامع بيان العلم وفضله*، ج٢، ص٧٨٨-٧٩٠.

[٧٥] الزرنوجي، برهان الدين الزرنوجي، *تعليم المتعلم طريق التعليم*، تح مروان قيادئي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٥٩.

وهذه المؤسسات التعليمية تحتاج إلى نظام إداري لغرض عملها بالشكل الصحيح، ولفهم هذا الموضوع سوف نتطرق إلى ثلاث أمور، وهي أوقاف مصر في العصر الأيوبي، والخدمات الطلابية والإدارية، وكذلك القائمون على التدريس.

١.٢.٣.١. أوقاف مصر في العصر الأيوبي

عرف العالم الإسلامي في العصر الأيوبي أنواعا متعددة من المؤسسات العلمية والدينية شملت في معظمها المدارس والمساجد والبيمارستانات وغيرها من المراكز والمرافق الأخرى، فالمدارس على سبيل المثال، التي كانت قائمة في مختلف البلاد، لم تكن بصورة عامة مؤسسات رسمية تابعة للدولة، بل أنها كانت تنشأ باسم أشخاص معينين سواء من الأمراء أو الوجهاء، فلم يكن من واجب الدولة الإنفاق عليها، بل كانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية تتضمن شروط الواقف لإنشاء المدرسة ونظامها، وتبين أهدافها وطرق إدارتها وتحدد عدد طلابها وتعيين أوقافا توقف على المدرسة للإنفاق عليها ضمانا لاستمرارها، وهذه الأوقاف إما أن تكون عقارات في المدن كدور للسكن، والحوانيت والطواحين أو أية عقارات أخرى تدر دخلا، وينفق منها على المدرسة، وريع الأوقاف هو وحده مصدر التمويل والإنفاق، ولذلك فإن المدرسة كانت تزدهر بمقدار ازدهار العقارات الموقوفة عليها[٧٦].

ومن حسنات نظام الوقف على المدارس أن أبواب العلم فتحت أمام الفقراء، إذ عنيت أوقاف المدارس بتدريسهم وطعامهم وشرابهم ومنامهم واستحمامهم ومعالجتهم[٧٧]، وكان هذا واضحا في العهد الأيوبي، إذ شهد هذا العهد نشاطا ملحوظا في الحياة العلمية والحركة الثقافية في مصر على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها المنطقة خلال تلك الفترة[٧٨]، وكان من أهم مظاهر هذا النشاط اهتمام ملوك وحكام بني أيوب بإنشاء المراكز

---

[٧٦] الشلبي، أحمد الشلبي، *تاريخ التربية الإسلامية*، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٦م، ص ٣٦٥.

[٧٧] العسلي، كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، الجامعة الأردنية – عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، العسلي، كامل جميل العسلي، *معاهد العلم في بيت المقدس*، الطبعة الأولى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٧م، ص ٢٣.

[٧٨] الاصفهاني، العماد الكاتب الاصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تح محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٣٧.

والمؤسسات العلمية وأهمها المدارس، وقد حرص منشئو هذه المراكز التعليمية على توفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشأتهم التعليمية الاستمرار في تقديم خدماتها، ومن أجل ذلك رصدوا لها الأوقاف الوفيرة التي تضمن للملتحقين بها العيش في مستوى مناسب يمكنهم من الانصراف إلى طلب العلم دون عناء كبير[٧٩].

ولقد لعب نظام الوقف على المدارس في عهد الأيوبيين دورا كبيرا في تفعيل الحياة العلمية والحركة الثقافية، إذ أن الأيوبيين بتطبيقهم هذا النظام أثبتوا حرصهم وتشجيعهم لتطوير واستمرارية الحياة العلمية، فاهتموا برعاية طلبة العلم وتكفلوا لهم بالنفقة والكسوة والطعام والإقامة، انطلاقا من أن التفرغ للعلم والدرس وملازمة الشيوخ، لا يحصل إلا بتكفية طالبيه أمر السعي في أسباب العيش، ولعل هذه الرعاية والعناية التي حظي بها طلاب العلم في معظم فترات العهد الأيوبي كانت سببا في شيوع العلم بين عدد كبير من أفراد المجتمع وعلى الأخص الفقراء والأيتام، فكثيرا ما تهيأت أمامهم السبل لتحصيل العلم والاشتغال به دون عائق، وقد دفع هذا الوضع الكثير من طلاب العلم في مختلف أنحاء الدولة الأيوبية آنذاك إلى أن يجعلوا من بلاد الشام، في كثير من الأحيان مقصد استقرارهم واشتغالهم بالعلم، لما زخرت به من مراكز تعليمية، تحفل أغلبها بكافة سبل الرعاية والتشجيع التي كانت تقدم للنازلين فيها[٨٠].

وعند استعراض عدد من وقفيات المدارس والمراكز التعليمية الأخرى، تبين إنها كانت تحتوي علي العناصر الرئيسية التالية :

- مقدمة يذكر فيها فضل الواقف وثواب الواقفين، كما يحدد فيها اسم الواقف، والدافع إلي الوقف وأهدافه.
- ذكر العقارات الموقوفة علي المركز العلمي، وتحديد مواقعها وأنواعها، وتفاصيل دقيقة عن مشتملاتها.

---

[٧٩] السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، تح عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩١م، الجزء ٤، ص ٢٢٢.

[٨٠] أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، تح محمود ديوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، الجزء ٢، ص ١٥٧.

- تفاصيل مختلفة عن المركز العلمي، وجهازه الوظيفي وسائر العاملين به، والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيهم، والواجبات التي ينبغي عليهم القيام بها، وفي سياق ذلك قد تحدد الوقفية مواضيع الدروس وأوقاتها، وقد تحدد كتباً معينة كمقررات دراسية.
- تحديد استحقاقات ومرتبات العاملين في المركز العلمي، ومخصصات وجرايات الطلاب المرتبين به، كما كانت الوقفيات تنص علي ما كان يصرف لهم من جرايات عينية كجزء من المرتب، بالإضافة إلي الجوائز والمكافآت التي كانت تقدم إلي المبرزين من الشيوخ، وإلي النابهين من طالبي العلم.
- تعيين ناظر للوقف، وبيان واجباته من حيث العناية بالوقف، وصيانته واستغلاله، والإنفاق من ريعه علي المركز العلمي[٨١].

٢.٢.٣.١. الخدمات الطلابية والإدارية للمدارس في العصر الأيوبي في مصر

على الرغم من أهمية الخدمات الطلابية وضرورتها لنجاح العملية التربوية، فإن الدراسات التي تناولت هذا الجانب الهام من جوانب العملية التربوية ما زالت محدودة وقليلة، فالخدمات الطلابية هي جانب من الجوانب التي تسهم بدور كبير في العملية التربوية وتساعد على تنمية شخصية الطلاب تنمية شاملة متوازنة، فمن الأمور الهامة في أي نظام تعليمي ما يتعلق بالخدمات الطلابية التي تؤثرها المؤسسة التعليمية، وفى مقدمتها خدمات الإقامة والترفيه والرعاية الاجتماعية والصحية للطلاب[٨٢].

فبشكل أساسي فإن الخدمات الطلابية تتعامل مع المجالات الآتية: خدمات الإقامة والسكن، وخدمات التغذية، والإعانات المالية، الخدمات المكتبية، الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية، خدمات التوجيه والإرشاد الطلابي.

---

[٨١] ظاهر، عدنان محمد محمود ظاهر، *التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي*، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠م، ص٧٩ – ٨٠.

[٨٢] القصيب، سعد مسقر القصيب، *الخدمة الاجتماعية المدرسية ومنهج وتطبيق*، الطبعة الأولى، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦م، ص٢١.

فبالنسبة إلى خدمات الإقامة والتغذية فتتمثل هذه الخدمات في ما توفره الدولة أو أفراد المجتمع من مساكن الطلاب لإقامة الطلاب خاصة المغتربين جغرافياً، وذوى الظروف الخاصة (الفقراء – المعاقين)، بأجور رمزية وأحياناً مجاناً وفيما توفره أيضاً من مطاعم تقدم لهم الغذاء مجاناً، أو بأقل من ثمن تكلفته، وتتحمل الدول الفرق من مميزاتها أو من تبرعات بعض أفراد المجتمع.

أما الخدمات المالية والعينية، فتتمثل فيما تقدمه الدولة أو أفراد المجتمع للطلاب من مساعدات مالية لتغطية بعض نفقات تعليمهم كشراء الكتب، سداد رسوم الاقامة في المدن الجامعية، سداد الرسوم الدراسية، كما تتمثل في منح الطلاب المتفوقين مكافآت دراسية لتشجعهم على التفوق الدراسي، إضافة إلى الخدمات التي تقدم ذوى الفئات الخاصة والتي تتمثل في شراء أطراف صناعية وكراسي متحركة، ودرجات للمعاقين، وبعض الخدمات العامة للمكفوفين من قراءة وتسجيل ودروس ومحاضرات على شرائط كاسيت...وغيرها[٨٣].

وكذلك بالنسبة إلى الخدمات الصحية العلاجية والوقائية، فهي تتضمن الفحص الطبي الشامل من كل طالب مستجد خلال مكوثه بالمؤسسة التعليمية، وتقديم المشورة الطبية له عندما يطلبها وتقديم العلاج أو إجراء العمليات الجراحية له في حالة مرضه، بالإضافة إلى الاستشارات النفسية للطلاب المعتلين نفسياً، مع الاحتفاظ بسجل كامل للحالة الصحية والبدنية للطالب خلال فترة دراسته، إضافة إلى خدمات التوعية للوقاية من الأمراض[٨٤].

وكذلك خدمات التوجيه والإرشاد الطلابي، فتعتبر هي جوهر الخدمات الطلابية وعصبها الحيوي، لما تقدمه من خدمة طلابية شاملة متكاملة تساعد الطلبة على تحقيق أعلى درجة من النمو والتوافق السري النفسي، والاجتماعي، والأكاديمي، والمهني، إذ تشمل إبداء النصح للطالب عند اختيار تخصصه أو مواد دراسته والتعرف على أسباب نشله أو عدم تقدمه في الدراسة، ثم إرشاده إلى تجنب ذلك مستقبلاً، بالإضافة إلى المشورة في المدن الجامعية

---

[٨٣] مرسي، محمد منير مرسي، *التعليم الجامعي المعاصر قضاياه واتجاهاته*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٠٧.

[٨٤] أبو عطية، سهام أبو عطية، *ادراك الأخصائيين الاجتماعيين والإداريين في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب للخدمة الإشرافية*، دراسات تربوية، سلسلة ابحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة بالقاهرة، المجلد السابع، الجزء ٤٦، ١٩٩٢م،ص ٢٦٢.

بواسطة الأخصائي النفسي والاجتماعي والأكاديمي والمهني أو أحد أعضاء هيئة التدريس، وذلك من خلال المشرفين فيها، أو الريادة الطلابية[٨٥].

وتكمن أهمية الخدمات الطلابية في النواحي التالية:

١. الخدمات الطلابية ضرورة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.
٢. الخدمات الطلابية وسيلة لتحقيق النمو المتكامل للطلاب.
٣. الخدمات الطلابية تعين على التحصيل الدراسي وتحقيق الأهداف المتوخاة من المؤسسة التعليمية.
٤. الخدمات الطلابية وسيلة هامة في حل المشكلات الاجتماعية للطلاب ووسيلة لحمايتهم من الانحراف[٨٦].

ان أحوال المجتمع المصري في زمن الأيوبيين له تأثير كبير على الخدمات الطلابية في مصر في تلك الفترة، وتتضمن هذه الأحوال: من الأحوال السياسية، والأحوال الاقتصادية، والأحوال العلمية والفكرية[٨٧].

فعند التكلم عن الأحوال السياسية فإن الدولة الأيوبية جاءت وليدة أحداث الحروب الصليبية، وعاصرت أشد الحروب ضراوة وعنفاً فقد وضع عماد الدين زنكي أساس حركة الجهاد ضد الصليبيين، الذين اتخذوا من الدين ستاراً لإخفاء ما تنطوي عليه المطامع والأغراض السياسية والتجارية والاستعمارية لهم، ودعا إلى توحيد جهود المسلمين وإلى نبذ ما بينهم من منازعات، ثم حشد الجهود لقتال الصليبيين، وسار على نهجه ابنه نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبي، وقد تحققت الوحدة الإسلامية زمن صلاح الدين الأيوبي بفضل ما أفاده من جهود سابقيه، وبما أسهم به هو وأسرته في بناء هذه الرحلة إدراكه ما للخلافة من قوة روحية في تحقيق غرضه، يضاف إلى ذلك ما التمسه من الوسائل في كسب الأنصار، بما بذله من

---

[٨٥] عبد اللطيف، رجب عبد الوهاب عبد اللطيف، *دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية*، بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التروي العربي، المجلد الأول، رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٥٦ – ١٦٠.

[٨٦] شوقي، عبد المنعم شوقي، *دور الجامعة في حل المشكلات الاجتماعية للطلاب*، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الثامن، سبتمبر، ص١٧ – ٢١، ١٩٧٥م، ص١٧.

[٨٧] العريني، السيد الباز العريني، *الشرق الأدنى في العصور الوسطى (١) الأيوبيين*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٢٣.

الاقطاعات، وبما اتصف به من العفو عن أخطاء خصومه، وبما جري عليه من التزام أحكام الدين في سياسته، فضلاً عما اشتهر به من السخاء والمروءة، وجعلت الاهتمام بالجيش والأسطول والعناية الفائقة بهما أول ما أستأثر بجهود الحكام في ذلك العصر، فدور جيوش مصر وأساطيلها في ذلك العصر، لم يتوقف عند حد الدفاع عن البلاد وحماية حدودها، وإنما تخطى ذلك إلى القضاء على الخطر في متابعه، فخرجت الحملات من مصر إلى آسيا الصغرى وإقليم الجزيرة شمالاً، وإلى دولة النوبة المسيحية جنوباً وإلى شبه الجزيرة العربية شرقاً في حين غزت الأساطيل المصرية قبرص ورودس، وقامت بدورها في تأمين البحرين الأبيض والأحمر[٨٨]، والواقع إن هذه الأوضاع كانت سبباً رئيسياً في تجمع صفوة العلماء في مصر، ذلك إن الاتصال بمصر لم يكن ضرورياً في شئون الحرب والسياسة فقط، بل كان ضرورياً في عالم التجارة والاقتصاد، وأمر لا غنى فيه في النواحي العلمية والتعليمية، وهذا الأمر انعكس بدوره، على ما قدم لطلاب العلم من خدمات وتسهيلات تتعلق بالإقامة والتغذية وحسن الرعاية والتوجيه انطلاقاً من أن التعليم والعلم كان أحد الأسلحة التي استخدمها سلاطين الأيوبيين للتغلب على واجههم من أخطار[٨٩].

أما الأحوال الاقتصادية، فقد تمتعت مصر في هذا العصر بمركز اقتصادي مرموق، نتيجة لازدهار التجارة الداخلية بهذا والانتعاش الذي شمل جميع مرافق الحياة من زراعة وصناعة وتجارة، ذلك ان عصر الأيوبيين لم يكن عصر نشاط حربي فقط، بل كان أيضاً نشاطاً حضارياً واسع النطاق، حيث أصبحت مصر فيه قبلة التجارة العالمية والمعبر الرئيسي لتجارة الشرق في طريقها إلى الغرب، كما أسهمت الحروب الصليبية بشكل واضح تنشيط التبادل التجاري بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، فنشطت العلاقات الاقتصادية والتجارية بين جمهوريات ايطاليا التجارية من ناحية ومصر من ناحية أخرى، مما عاد على مصر بثروة ضخمة ساعدت على ازدهار الصناعات وانتعاش العلوم والفنون، وإقامة المنشآت الدينية مما لا يزال بعضها يشهد على عظمة عصر في من أزهى عصورها [٩٠].

---

[٨٨] عاشور، سعيد عبد الفتاح عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٥١.

[٨٩] عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، ص٤٤٩.

[٩٠] عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، ص٤٥١.

٣.٢.٣.١. القائمون على التدريس التربوي

من المعلوم أن أهم عنصر من عناصر التربية والذي يؤثر بشكل مباشر على طالب العلم هو المدرس والذي هو بمثابة مربي تربوي في عصر الأيوبيين، ويقوم بالتدريس في المدرسة مدرس أو أكثر، اختير من مشايخ علماء عمره، وأوسعهم علما وأبعدهم صيتا، وذلك لأنه على أساس سمعة ومكانة المدرس تتوقف سمعة المدرسة وأهميتها[٩١].

وكان يساعد المدرس معيد، ووظيفة المعيد أنه يعيد على الطلبة ما ألقاه عليهم المدرس، لذلك سمي بالمعيد، فهو أكبر منهم درجة، ويجلس معهم ليسمع ما يعطيه عليهم المدرس، وبعد ذلك يرجع اليه الطلاب لشرح ما قد يكون قد صعب عليهم فهمه، فمنذ العصر الأيوبي صار منصب المعيد مرموقاً، بحيث قل أن خلت منه مدرسة من مدارس ذلك العصر، فقد عين صلاح الدين معيدين بالمدرسة الناصرية، كما عين الصالح نجم الدين أيوب معيدين لكل مدرس في المدرسة، واعتمد التدريس في ذلك العصر على الالقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وتلاميذه[٩٢].

وكذلك خاتونات البيت الأيوبي، وهي فئة خاصة من النساء هن خواتين أو خاتونات البيت الأيوبي، وهى كلمة فارسية، ومعناها المرأة صاحبة الكلمة في البيت والتصرف فيه، وقد أطلقت على أميرات البيوت المالكة في العصر الزنكي والنوري والأيوبي، إذ أسهمن بَدَور كبير في الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن أن بعضهن قد أسهمن بِدَور بارز وملموس في الحياة السياسية[٩٣]، والحقيقة أن معظم خاتونات البيت الأيوبي قد أسهمن بِدَور كبير في الحياة العلمية والثقافية، وإن كان يتفاوت هذا الدَّور بينهن حسب الظروف والأحداث السائدة آنذاك، فمن أبرز هؤلاء الخاتون ست الشام بنت الأمير نجم الدين، وأخت السلطان الكبير صلاح الدين الأيوبي التي اهتمت بالحياة العلمية والثقافية بشكل كبير.

---

[٩١] السيوطي، *حسن المحاضرة*، ج٢، ص١٥٧.
[٩٢] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٢.
[٩٣] الشاعر، منى سعد محمد الشاعر، *خاتونات البيت الأيوبي ودورهن السياسي والاجتماعي والعلمي كنموذج لدور المرأة في العصور الإسلامية*، د. ن. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٧-٦٩.

وكان دار الخاتون ست الشام قبلة للعلم والعلماء، كما كانت ملجأ للقاصدين. كان للسلطان العادل الأيوبي عدة بنات ظهر لمعظمهن دور كبير في إثراء الحركة العلمية في مصر والشام في العصر الأيوبي، ويقول ابن واصل في ذِكر أولاد الملك العادل الأيوبي: "كان للملك العادل فيما أعلم ستة عشر ولدًا ذكرًا سوى البنات"[٩٤]، ولم يحدد عدد هؤلاء البنات ؛ في حين ذكر الحنبلي أربعًا فقط من بنات السلطان العادل الأيوبي، وهن غازية خاتون، وضيفة خاتون، اللاتي تزوجهن الملك الظاهر، صاحب حلب، وملكة خاتون، التي تزوجها الملك المنصور، صاحب حماة، ثم أضاف إليهن تلك التي تزوجها معز الدين قيصر شاه ابن سلطان سلاجقة الروم ولم يحدد اسمها[٩٥].

يبدو أن السلطان الملك العادل كان له عدد كبير من البنات، وقد أسهم معظمهن بِدَور كبير في الحركة العلمية، ومن هؤلاء الخاتونات السيدة ضيفة خاتون، التي حكمت حلب لمدة ست سنوات نيابة عن ابن ابنها الملك الناصر، وكان لها دَور بارز في إثراء الحركة العلمية في حلب، حيث اهتمّت بالعلم والعلماء، وقربت إليها أهل العلم والدين وبذلت لهم الكثير[٩٦].

والخاتون عصمة الدين مؤنسة خاتون في الحياة العلمية على دراسة الحديث وتدريسه فقط، بل اهتمّت بالأدب ودراسته، فضلاً عن ذلك فقد أنشأت مدرسة في مصر في أول حارة زويلة برحبة كوكاي، عرفت بالمدرسة القطبية، نسبة إلى أخيها الملك الأوحد قطب الدين أحمد. وكانت تلك المدرسة بمثابة معهد علميّ كبير خُصِّص لدراسة العديد من العلوم الدينية؛ إذ كانت مركزًا لدراسة الفقه الشافعي والحنفي إلى جانب أنها كانت دارًا لإقراء القرآن الكريم، يدرّس فيها القرآن الكريم وعلومه، عصمة الدين مؤنسة خاتون قد لعبت دَورًا كبيرًا في الحركة العلمية؛ إذ كانت ضمن أشهر علماء عصرها في العلوم الدينية والأدبية، ولكنها برعت بصفة خاصة في علم الحديث، وقد أنشأت المدرسة القطبية التي عنيت بدارسة العديد من فروع العلوم، مما يدل على إسهاماتها الفعّالة في إثراء الحركة العلمية ليس في العصر الأيوبي فحسب، بل امتد جهدها أيضًا إلى العصر المملوكي، حيث امتد عمرها منذ ولادتها في عام ١٢٠٦م، إلى أن

---

[٩٤] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب*، تح جمال الدين الشياك، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٧٣.

[٩٥] الحنبلي، احمد بن ابراهيم الحنبلي، *شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب*، تح مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٨٣.

[٩٦] المقريزي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)*، ج٤، ص٢٠٠.

توفيت في عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، عن عمر يناهز التسعين عامًا، ويقول المقريزي عنها : "إنها "كانت عاقلة، ديّنة فصيحة، لها أدب وصدقات كثيرة وتركت مالاً جزيلاً". ولكي يستمر سير العملية التعليمية في تلك المدرسة أمرت السيدة مؤنسة خاتون بشراء وقف يُنفق من إيراده على متطلباتها[٩٧].

هكذا أسهمت الخاتونات بنات السلطان العادل الأيوبي في إثراء الحركة العلمية في مصر والشام في العصر الأيوبي، ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان العادل قد أنجب ستة عشرة ولدًا كان في طليعتهم الملك الكامل محمد، سلطان مصر والشام، والملك المعظم عيسى، صاحب دمشق، والملك الأشرف موسى، صاحب الجزيرة، وغيرهم كانوا جميعًا على ثقافة عالية، ومعرفة غزيرة بالعلوم الدينية والأدبية، فضلاً عن معرفتهم نظم الشعر العربي وإسهامهم الكبير في دفع الحركة العلمية بما أنشئوه من مدارس ومساجد وزوايا وربط ودور للحديث انتشرت بكل من مصر والشام وكانت بمثابة معاهد علمية كبيرة.

٣.٣.١. مراكز التربية التعليمية في مصر في العصر الأيوبي

تنوعت كثرة أماكن التعليم والتدريس في العصر الأيوبي، فمنها المكتبات والمساجد والمدارس والخوانق، لذلك سوف يتم الإشارة في هذا الموضوع إلى هذه المراكز التعليمية.

١.٣.٣.١. المكتبات في العصر الأيوبي

من المعروف أن المدارس وباقي أماكن التعليم لابد أن لها من مكتبات غنية يرجع اليها المدرسون والطلاب، ويعتمدون على الكتب في التحصيل والاستزادة، لذلك عنى الأيوبيون عناية كبيرة بالمكتبات، وذلك اقتداء بنور الدين محمود الذي خصص كتب كثيرة يجد فيها طلاب العلم حاجتهم من المعرفة، هذا مع ملاحظة أن المكتبات في ذلك العصر لم تكن مقصورة على المدارس فقط، وانما وجدت بالجوامع وغيرها من المكتبات الخاصة، ولقد كان لكل مكتبة من

---

[٩٧] رشيد، ناظم رشيد، *التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام*، مجلة آداب الرافدين، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد العاشر، ١٩٧٩م، ص٢٨٠.

المكتبات العامة موظفين يقومون بتنظيم الكتب ورعايتها والمحافظة عليها، فضلا عن خدمة المترددين على المكتبة من طلاب العلم، وأهم هؤلاء الموظفين: الخازن، والنساخ، والمجلدون، والمناولون...وغيرهم[٩٨].

كان من ثمار النهضة الثقافية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك الاهتمام بالمكتبات والعناية بالكتب وجمعها حيث حظي الكثيرون من العلماء والأمراء علي حد سواء بمكتبات عامرة محتوية علي فروع متعددة كما كانت هناك بعض المكتبات الملحقة بالمكاتب والمدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا وقد حبست عليها وتولي أمورها الخزان والنظار[٩٩], وكذلك وجدت مكتبات أو خزانات خاصة كثيرة في ذلك العصر منها: مكتبة كبيرة في قلعة الجبل[١٠٠] بمصر، وقد كانت المكتبات بمثابة مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها السلاطين والأمراء والأثرياء والعلماء لينتشر العلم بين الناس، خصوصاً في ذلك الزمن الذي لم تكن فيه الطباعة موجودة وكانت الكتب تنسخ على أيدي نُساخ متخصصين في هذا العمل مما جعل ثمن الكتاب مرتفع جداً، فيتعذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه[١٠١]، ولقد لعبت المكتبات دوراً هاما في إرساء قواعد النهضة الثقافية الكبرى في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، وقدمت خدمات متميزة للطلاب والمعلمين، عملت على حفظ التراث والحضارة الإسلامية، وأسهمت في تخريج عدد كبير من مشاهير الفلاسفة والفقهاء والأدباء والمؤرخين والعلماء وغيرهم.

تعد الخدمة المكتبية من أهم الخدمات التي يمكن أن تقدمها المؤسسات التعليمية للطلاب، فالمكتبة عصب التعليم المتطور، وضرورة أساسية من ضرورياته، فهي تيسر للطلاب فرص الاطلاع على مجموعة واسعة متنوعة من الكتب، وتعين الطلاب على تحصيل دروسهم، وتزيد من رصيدهم الثقافي والعلمي وقد أجمع الرأي على أن المكتبات هي القاعدة الصلبة التي

---

[٩٨] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٣

[٩٩] بن شاهين، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، *نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين*، تح محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٧٤.

[١٠٠] النباهين، علي سالم النباهين، *نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك*، ترجمة وتح ابراهيم عصمت مطاوع وعبد الغني عبود، تقديم عبد الغني عبود، دار الفكر العربي للنشر، ١٩٨١م، ص ٧٤

[١٠١] النباهين، *نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك*، ص٢٧٦.

يمكن ان تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية في أي مجتمع من المجتمعات، وتزداد أهمية المكتبات مع ارتفاع أسعار الكتب وصعوبة اقتناء الكثيرين لها[١٠٢].

وانطلاقاً من أهمية المكتبات تحرص كل مؤسسة تعليمية على وجود مكتبة بها، تضم العديد من المؤلفات والدوريات المحلية والعالمية، والتي لا غنى للطالب عن الرجوع إليها، هذا بالإضافة إلى المكتبات المتخصصة الملحقة ببعض الأقسام والتخصصات، وتوفر المكتبات مجموعة من الخدمات للمترددين عليها، حيث تضم عدداً من القاعات للاطلاع الداخلي كما أنها تقوم بتسهيل خدمات الإعارة الخارجية تحت شروط معينة، كما يتوافر بكل مكتبة مجموعة من الأخصائيين يسهمون بدور كبير في توجيه روادها نحو الاستفادة من كل ما يوجد بها من كتب ومراجع.

كذلك ظهر تقدير سلاطين بني أيوب وملوكهم للعلم في عنايتهم بالمكتبات، وأهمها المكتبة التي عنى بها السلطان الكامل بالقلعة، وكانت في الأصل هي مكتبة القاضي الفاضل، ثم آلت إلى ابنه الاشرف أحمد، حتى أمر السلطان الكامل بوضع اليد عليها، ونقلها إلى القلعة لتصبح نواة لمكتبة كبرى ضمت ثمانية وستين ألف مجلد[١٠٣].

٢.٣.٣.١. المساجد في العصر الأيوبي

ينبغي أن ننتبه إلى حقيقة هامة وهي أن المسجد كان المؤسسة الأولى في الدولة الإسلامية، وتركزت فيه معظم أنشطة الدولة، وقد ظل كذلك فترة بعيدة، وكان بمثابة المصدر التي تفرعت منه المؤسسات المختلفة على كافة المستويات السياسية والحضارية، ونتيجة لذلك مع تطور الدولة الإسلامية حدثت تعقيدات في الإدارة مما أدى إلى تخفيف العبء عن كاهل المساجد ويظل التركيز على وظيفة المسجد الاولى وهي الصلاة، وعلى الرغم من كل ذلك ظل المسجد محتفظاً بحلقات التدريس ذات الأهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين[١٠٤].

---

[١٠٢] النباهين، *نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك*، ص ١٤٢.
[١٠٣] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٠
[١٠٤] سلام، ايمن شاهين سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٩م، ص٢٢.

في مصر ظل لمسجد عمرو بن العاص الذي بناه الصحابي الجليل سنة (٢١هـ/٦٤٠م) دوره التعليمي حتى ذلك العصر، ولطالما حرصت الأسر والسلالات الحاكمة التي توالت على البلاد بالتعهد بهذا الجامع الكبير دينيًا وتربويًا وتعليميًا، ففي عصر الفاطميين حاولوا إقامة جامع آخر ينافس جامع عمرو في نشاطه التعليمي الشيعي هو الجامع الأزهر، وعندما تولى صلاح الدين الأيوبي قام بإصلاح الجامع وترميمه وإعادة الحلقات العلمية إليه، مع تجميد نشاط الجامع الأزهر باعتباره مركز التشيع في مصر حينها، وظل الأزهر مائة عام كاملة حتى أعاد افتتاحه السلطان المملوكي ركن الدين بيبرس سنة ٦٦٥هـ.

ولم تذكر المصادر التاريخية أن صلاح الدين بنى مسجداً جديداً في أي وقت كان من دولته، ولعله اكتفى بإصلاح وتحسين وتوسيع الموجود منها، ورأى أن الوضع لا يستدعي إضافة عدد آخر نظراً لكثرتها أو لأن الرعية يقومون بإنشائها طوعاً طمعاً في الثواب[١٠٥].

علي الرغم من أن التدريس بالمساجد قد تأثر بعض الشيء وواجه فترة من الركود النسبي نظراً لاهتمام الأيوبيين بإنشاء العديد من المدارس التي انتقلت إليها قيادة الحياة التعليمية في تلك الفترة، نظراً لما كان يصرف فيها من المرتبات النقدية والعينية بالإضافة إلي السكن المجاني في كثير من المدارس[١٠٦], فإنه ما لبث أن تغير الحال وأخذت حركة بنيان المساجد وعمارتها تضطرد, بحيث كان منها وفي القاهرة وحدها ما لا يكاد يحصى فضلاً عن سائر مدنها وقراها[١٠٧].

وإذا كانت المساجد قد أقيمت أساساً للعبادة فإنها كانت تؤدي وظيفة تعليمية إلي جانب ما كان يؤدي فيها من شعائر العبادة مع وجود المدرسة بل لعلها تفوقت آنذاك علي المدرسة بما اختصت به من ميزات من بينها كثرة المنتفعين بالعلم فيها والحرية المطلقة بالنسبة للمدرسين والطلبة في اختيار مناهج الدراسة وأسلوبها وأوقاتها, وأفضل مواضع التدريس المسجد لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة، أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى علينا يحصل فيه هذا الغرض متوافراً لأنه موضع مجتمع الناس رفيعهم ووضيعهم,

---

[١٠٥] طقوش، *تاريخ الأيوبيين في مصر والشام وإقليم الجزيرة*، ص٢١٥.

[١٠٦] عبد العاطي، عبد الغنى محمود عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٧٥م، ص٦٥.

[١٠٧] بن شاهين، *نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين*، ص٢١٠.

عالمهم وجاهلهم إذ المدرسة لا يدخلها في الغالب إلا أحاد الناس بالنسبة للمسجد لأنه ليس كل الناس يقصد المدرسة وإنما يقصد أعمهم المساجد[١٠٨].

ولقد حظيت كثير من المساجد في مصر زمن الأيوبيين بنشاط فكري وعلمي ملحوظ واتخذت صورة الجامعات الإسلامية من هذه المساجد والجوامع: الجامع الأزهر، وجامع عمرو، جامع ابن طولون، وجامع الحاكم، وغير ذلك كثير، ولقد كانت سبل الإعاشة بالنسبة للمجاورين والمترددين علي هذه المساجد تختلف عنها في المدارس إذ أن الطلبة في المدارس يتلقون المعاليم الشهرية التي تعينهم علي معيشتهم والاستمرار في طلب العلم أما حالة الطلبة المجاورين فإنهم يقومون بالإنفاق على أنفسهم إلا ما يقوم به أرباب الأموال والإحسان من الصدقة بأنواع البر من الأموال والأطعمة والحلوى لاسيما إعانة للمجاورين[١٠٩].

٣.٣.٣.١. دور الكتب (المكاتب أو الكتاتيب)

انتشر بناء هذه المكاتب أو الكتاتيب علي نطاق واسع في مصر زمن الأيوبيين, وكانت تقوم مقام مدارس المرحلة الأولى في وقتنا الحالي وكانت مهمتها الأساسية تحفيظ القرآن الكريم بالإضافة الي تعليم القراءة والكتابة، وهي نوعان[١١٠]:

١. المكاتب الأهلية أو الخاصة وهي التي يقيمها من وجدوا في أنفسهم القدرة علي اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها ويتعلم فيها الصبيان بأجر معلوم لا صحابها.
٢. المكاتب العامة أو مكاتب الأيتام أو مكاتب الأسبلة: وهي التي كان قيامها مرهوناً بأصحاب المناصب والجاه في الدولة من سلاطين وأمراء ووجهاء وتجار وعلماء ابتغاء مرضاه الله وثوابه, وقد حظى هذا النوع من المكاتب بعناية فائقة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي وكان التعليم فيها مكفولاً بدون أجر للأيتام والمعدمين (الفقراء) وابناء البطالين (المتقاعدين) من الجند ما لم يبلغوا حد البلوغ وقد كفل لهم نظامها معاليم

---

[١٠٨] ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، *المدخل*، الطبعة الثانية، الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٨٠.
[١٠٩] عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، ص٢١٨.
[١١٠] عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، ص٧١.

عينية ونقدية تصلح لما يحتاجونه أثناء دراستهم في المكتب من ألواح ومحابر وأقلام ومداد وفضلاً عن الكساء والفرش وما يبذل لهم في المواسم والأعياد والكعك والسكر والحلوى والفاكهة والأضحية[١١١].

وعلي الرغم من أن المعلوم الذي يتناوله الطفل كانت تختلف قيمته من مكتب لآخر طبقاً لشروط الوقت إلا أن هذا المعلوم كان في الغالب خير عون للطفل وربما لأسرته التي غالباً ما تكون فقدت عائلتها علي مواصلة الحياة لحين بلوغ الطفل وقدرته علي الاكتساب[١١٢].

٤.٣.٣.١. المدارس في العصر الأيوبي

قام مشروع صلاح الدين الأيوبي على خطين متوازيين، الجانب العسكري منه كان لمجابهة القوى الصليبية في الشام، والجانب الثقافي منه كان نشر المذهب السني من خلال الاهتمام بالتعليم وإنشاء المدارس، وكان لذلك أثر بالغ في مناهضة العقائد الإسماعيلية خاصة، وفي هذا يذكر المقريزي "لما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أبطل مذاهب الشيعة من ديار مصر، وأقام بها مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك، واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، فإنه بنى بدمشق وحلب وأعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر[١١٣].

والواقع أن الأيوبيين عندما دأبوا على إنشاء المدارس في مصر لم يكونوا مبتكرين، وإنما كانوا محاكين لما شاهدوه وسمعوا به في الدولة العباسية، وذلك بسبب أن ظاهرة انتشار المدارس كانت من أبرز سمات الحياة العلمية في العصر العباسي الثاني، فقد استوعب المدارس شتى ألوان العلوم والمعرفة فضلا عن أنها مراكز لنشر الإسلامي التربوي ونشر المذهب السني وشن الحرب على الشيعة ومحاربة التشيع [١١٤].

---

[١١١] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٤٣.
[١١٢] عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، ص١٢٦.
[١١٣] العناقرة، العناقرة، المدارس في مصر *في عصر المماليك*، دراسة تاريخية من خلال الوثائق والوقفيات والحجج، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٢.
[١١٤] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٣٩.

كان صلاح الدين الأيوبي يفكر في الاصلاحات المدنية التي تحسن الوضع الاجتماعي، لذلك كان فكرة بناء المدارس لتحقيق غايتين، الغاية الأولى: تكوين طبقة واعية مثقفة تكون سنداً له في منهجه وحكمه وقيادته، والغاية الثانية: القضاء على المذهب الشيعي، واعتقاده أن المساجد والمدارس هي قاعدة الدين، وهو الذي أدخلها إلى مصر[١١٥].

شهدت مصر في بداية العصر الأيوبي اهتماماً عظيماً بإنشاء المدارس لتكون مراكز للتعليم ينتشر من خلالها المذهب السني كما حظيت المدارس في عهد المماليك بنفس القدر من الاهتمام ولقد كان وراء اهتمام الأيوبيين والمماليك بإنشاء العديد من المدارس والعناية بها أسباب ودوافع عديدة منها:

- إن المدارس في هذا العصر اتخذت سنداً ودعاية لتقوية نفوذهم السياسي وركيزة لتقوية وضعهم الداخلي في مصر بانتصارهم للمذهب السني.
- حب الأمراء والسلاطين والأعيان للعلم والعلماء وتشجيعهم له حتي أصبح من المعتاد طوال عصر الأيوبيين والمماليك أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر كما لو كانت هذه المدارس من مظاهر السلطة وشعارها, فصلاح الدين الأيوبي بني سنة ١١٧٠م مدرستين هما الناصرية للشافعية، والقمحية للمالكية، وهو لا يزال وزيراً للعاضد وفي أثناء سلطنته بنى مدرسة السيوفية للحنفية.... وغيرها, وقلده في ذلك خلفاؤه في دولته السلاطين فضلا عن الأمراء والتجار وغيرهم, مما أدى إلي زيادة عدد المدارس حتى بلغ عددها بالقاهرة حوالي سنة (٦٠٠هـ) ثلاث عشرة مدرسة.
- كان هناك سبب ثالث وراء الإكثار من بناء المدارس وترتيب الأوقاف للصرف من ريعها علي المدرسين والطلبة, تعلق هذا السبب بالحياة السياسية الداخلية وما اتسمت به من عدم استقرار خاصة في عصر المماليك إذ أن الأمراء بل والسلاطين أنفسهم كانوا يتعرضون لحوادث المصادرة والسجن, مما جعلهم يرون في الأوقاف وسيلة وملجأ يلجئون إليه عند الضرورة وضماناً لذريتهم من بعدهم وهو ما أكد عليه ابن خلدون بقوله: "أن أمراء الأيوبيون في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثرا

---

[١١٥] طقوش، *تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة*، ص٢١٢.

من بناء المدارس والزوايا والربط, ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركاً لولدهم بنظر عليها أو نصيب منها[١١٦].

وكانت المدرسة في ذلك الوقت مؤسسة كاملة تشمل علي المكان المعد لإلقاء الدروس والمسكن الذي يبيت فيه الطلاب والمدرسين, والرواتب التي تغنيهم عن طلب الدنيا وتضمن انقطاعهم لطلب العلم مع توفير المدرسين الأكفاء المتفرغين لتعليم الطلبة وخزانة الكتب التي يرجع إليها المدرسون والطلاب ولاسيما الفقراء منهم, ولذلك رتب لكل مدرسة بعض الأراضي والعقارات للصرف من ريعها علي مصاريف المدرسة ودفع رواتب المدرسين والطلبة وغيرهم من العاملين بالمدرسة[١١٧].

---

[١١٦] عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، ص١٥١.
[١١٧] عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، ص٦١.

المدارس لتدريس المذهب الشافعي

- المدرسة الناصرية (مدرسة ابن زين التجار أو مدرسة الشريفية)، وكانت أول مدرسة أنشأها صلاح الدين قبل وفاة الخليفة الفاطمي الأخير العاضد بعام واحد فقط، كانت المدرسة الناصرية عام ١١٧٠م، خدمة للمذهب الشافعي[١١٨]، وكانت تقع بجوار مشهد الإمام الشافعي بالقرافة، وقد درّس في هذه المدرسة عدد من كبار علماء ذلك العصر مثل التبريزي وسيف الدين الأسدي وكمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ وجمال الدين الأصفهاني، وبلغ راتب بعض هؤلاء العلماء ٤٠ دينارًا ذهبيًا كل شهر، وعرفت بعد ذلك باسم "ابن زين التجار" ثم باسم "الشريفية" نسبة لعلماء درسوا بها[١١٩]، ومن كبار العلماء الذين درسوا في هذه المدرسة هم: التبريزي، وسيف الدين الأسدي، وكمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ، وجمال الدين الأصبهاني، وسيف الدين الجزيري، وقاضي القضاة برهان الدين السنجاري، وكانت هذه المدرسة قد خلت من المدرسين مدة ثلاثين سنة، واكتفى بمعيديها الذين بلغ عددهم عشرة معيدين[١٢٠].
- مدرسة بن الأرسوفي، هذه المدرسة كانت بالبذارين التي تجاور خط النخالين بمصر، عرفت بابن الأرسوفي التاجر العسقلاني، وكان بناؤها في سنة ١١٧٤م، وابن الارسوفي هو عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هبة الله الأرسوفي الشافعي المتوفي سنة ١١٩٧م، وهي من مدارس فقهاء الشافعية[١٢١].
- مدرسة المشهد الحسيني، وهي من جملة المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي على حد قول ابن خلكان، حيث إن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب لما ملك الديار المصرية جعل منها تدريساً، وأوقف لها وقفاً، وبنى بها بيوتا للتدريس وبيوتاً للفقهاء[١٢٢].
- المدرسة التقوية (مدرسة منازل العز)، تنسب المدرسة التقوية إلى مؤسسها تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المظفر، التي أنشأها في عام ١١١٧م لتكون مدرسة

---

[١١٨] احمد، احمد عبد الرزاق احمد، *العمارة الاسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي*، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م،ص١٧١.

[١١٩] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص ٣٤.

[١٢٠] العبادي، *في التاريخ الأيوبي والمملوكي*، ص١٠٤.

[١٢١] سلام، ايمن شاهين سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٩م، ص٨٠.

[١٢٢] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٠.

لتدريس المذهب الشافعي، وعرفت بمنازل العز[١٢٣]، وهو قصر فاطمي أسست هذه المدرسة على أجزاء منه، ووقف عليها جزيرة الروضة بكاملها ومدرسة بالفيوم، ودرس بها شهاب الدين الطوسي، وصالح بن صارم القوصي[١٢٤].

- المدرسة القطبية، تقع هذه المدرسة في القاهرة في خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريري، وأنشأها الامير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني في سنة ١١٧٤م، ونسب اليه وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية، وتولى شرف الدين بن يعقوب بن عبد الرحمن التدريس بهذه المدرسة[١٢٥].
- المدرسة الصلاحية (أو مدرسة الشافعي، أو مدرسة الخبوشاني)، وهي من أعظم وأهم المدراس التي أنشأها الناصر صلاح الدين في مصر بجوار قبة الإمام الشافعي سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م)، فقد وصفها السيوطي بأنها "تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق، وقد زار الرحّالة الأندلسي ابن جبير البلنسي حين نزل مصر سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) هذه المدرسة[١٢٦]، وأعُجب بعمرانها ونظام التدريس بها قائلاً "لم يُعمّر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة، ولا أحفل بناءً، يُخيَّل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمّام إلى غير ذلك من مرافقها، والبناء فيها حتى الساعة والنفقة عليها لا تُحصى، وقد درس بهذه المدرسة الشيخ الخبوشاني، ورتب له المعلوم في كل شهر أربعين ديناراً، وكذلك القاضي نور الدين الزواوي، وأحمد الأنصاري[١٢٧].
- المدرسة الفائزية، تقع هذه المدرسة بأسيوط، أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي قبل وزارته سنة ١٢٣٨م، ودرس بها الفتح المغربي، وقاضي القضاة محيي الدين عبد الله ابن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة، ثم قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزري، وتم ايقافها على الشافعية.
- مدرسة قبة السادات الثعالبة، تقع بقايا هذه المدرسة خلف ضريح الإمام الشافعي، وتطل واجهتها الشمالية على شارع عقبة بجانب الإمام الشافعي، وهي من تشيد الإمام الكبير

---

[١٢٣] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٨١.
[١٢٤] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٣٨.
[١٢٥] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٣٨.
[١٢٦] أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٧١.
[١٢٧] العبادي، *في التاريخ الأيوبي والمملوكي*، ص١٠٤.

الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة، فخر العرب ثعلب ابن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل، الجعفري الزينبي، أمير الحاج والحرمين، واحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية، الذي شغل وظيفة أمير الحاج في سنة ١١٩٥م[١٢٨].

- مدرسة أسوان، وهي من مدارس العصر الأيوبي الموقوفة على المذهب الشافعي، وكان القاضي أبي الطاهر اسماعيل بن محمد بن حسان الأسواني الأنصاري الشافعي مدرساً فيها، والذي توفى سنة ١٢٠٢م[١٢٩].
- المدرسة الهكارية، ذكر هذه المدرسة السخاوى في تحفة الأحباب، كما وصل إلينا خبر هذه المدرسة من خلال ما كتبه المؤرخون عن أول مدرس لهذه المدرسة وهو أبو عمرو عثمان الهذباني المعروف بضياء الدين بن درباس، وقالوا أن جمال الدين الهكاري كان قد وقف عليه مدرسة بين القصرين بالقاهرة وبقي فيها مدرساً حتى توفي سنة ١٢٠٥م[١٣٠].
- المدرسة الشريفية أو مدرسة الشريف فخر الدين بن ثعلب، تم إنشاء هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية بالقاهرة، وهي داراً أوقفها الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن ثعلب بن يعقوب الزيني، وهو أحد أمراء مصر في الدولة الأيوبيية، وقد وقفت على الفقهاء الشافعية، لوم يبق من المدرسة الان سوى المدخل والإيوان ومحلها اليوم بشارع سيدي عقبه[١٣١].
- مدرسة السيفية، وهي بالقاهرة بين خط البندفإنيين وخط الملاحين، وموضعها من جملة دار الديباج، وهي كانت داراً من المدرسة القطبية كان قد سكنها شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية، ثم سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أوقفها مدرسة وولى فيها عماد الدين ولد القاضي صدر بن درياس مدرساً بها[١٣٢].

---

[١٢٨] أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٧٥.
[١٢٩] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٤.
[١٣٠] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٥.
[١٣١] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٦.
[١٣٢] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٢.

- المدرسة القوصية، تقع بالقاهرة بدرب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا، وقفها والي قوص الكردي، وكانت من مدارس الفقهاء الشافعية، وقد ظلت عامرة إلى زمن طويل، وهي التي تعرف بزاوية حارة القرافة[١٣٣].

[١٣٣] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص٩٩.

المدارس لتدريس المذهب المالكي

- المدرسة القمحية، وأنشأها صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٧٠م مدرسة للفقهاء المالكية أُطلق عليها المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص بالفسطاط على نهر النيل قرب القاهرة في مصر[١٣٤]، وسُميت بالقمحية نسبة إلى ما كان يُرسل من القمح إلى فقهائها من البلدة التي كانت وقفًا عليها في الفيوم، ومن أكابر فقهاء المالكية الذين درّسوا فيها العلامة ابن خلدون حين استقر به المقام في نهاية عمره بمصر، يقول ابن خلدون حين جلس للتدريس فيها سنة (٧٨٦هـ/١٣٨٥م) "وحضرني يوم جلوسي للتدريس فيها جماعة من أكابر الأمراء تنويهًا بذكري، وعناية من السلطان، ومنهم بجانبي[١٣٥]، ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدد من الطلبة، ومن أكابر العلماء الذين درسوا بهذه المدرسة هم تقي الدين بن شاس، وعبد الرحمن بن خلدون، والشيخ علم الدين البساطي[١٣٦].
- المدارس المالكية بالفيوم، وهي مدرستان، أحداهما تنسب إلى تقي الدين عمر حسبما تشير الروايات، والثانية فلا يوجد معلومات عنها.
- المدرسة العادلية، أنشأها الملك العادل أبو بكر بن أيوب، أخو صلاح الدين الأيوبي، لتدريس الفقه على المذهب المالكي، وممن درس بها قاضي القضاة تقي الدين أبو علي الحسين بن شرف الدين بن شاس فعرفت به، وقيل لها مدرسة ابن الشاس إلى اليوم[١٣٧].
- المدرسة النجيبية، والتي بناها نجيب بن هبة الله القوصي، سنة ١٢١٠م، وهي أعدت لخدمة المذهب المالكي في العصر الأيوبي[١٣٨].
- المدرسة الصاحبية، تقع هذه المدرسة في آخر درب سعادة بخط الحمزاوي، أنشأها الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، ووقفها على المالكية، وجعل بها مدرس نحو، وبنى فيها خزانة كتب جليلة[١٣٩].

---

١٣٤ أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٧١.
١٣٥ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٣٦.
١٣٦ العبادي، *في التاريخ الأيوبي والمملوكي*، ص١٢٨.
١٣٧ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٢
١٣٨ سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٤.
١٣٩ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٣.

- مدرسة منية بن خصيب، عمل فيها مدرسا أبو الفضائل بن عبد الستار بن إسماعيل المقدسي المالكي المتوفي سنة ١٢١٤م، وكذلك العفيف يعقوب المهيوني بمنية بنى خصيب الذي كان قاضياً ومدرساً في هذه المدرسة، وقد خصصت هذه المدرسة لدراسة المذهب المالكي[١٤٠].
- مدرسة ابن الأنجب، وهي من مدارس الإسكندرية في العصر الأيوبي التي نص عليها المنذري صراحة عند الحديث عن الامام الحافظ أبو الحسن على بن الأنجب المقدسي الاصل الإسكندراني المولد المتوفي سنة ١٢١٤م، وقد بنية قبل سنة ١٢١٤م، وخصصت لدراسة المذهب المالكي[١٤١].
- مدرسة ابن شاس، والتي تقع بخط الساحل بجوار الربع العادلي في مدينة القاهرة، عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ودرس بها قاضي القضاة تقي الدين أبو على حسين بن شرف الدين ابن أبو الفضل بن شاس[١٤٢].
- مدرسة الزكي التاجر، وهي موجودة بقرية في جزيرة بني نصر بين القاهرة والإسكندرية، ودرس وتفقه بها الامام أبي الحسن علي بن اسماعبل بن علي بن حسن الأبياري، وقد خصصت لتدريس المذب المالكي[١٤٣].
- مدرسة ابن الرشيق، وقد عمل في هذه المدرسة قاضي القضاة علم الدين ابن رشيق، فعرفت باسمه، وتم بناء هذه المدرسة سنة ١٢٤٢م، وهي من مدارس المالكية، وقد تلاشت هذه المدرسة الان ولم يبق منها أي شيء[١٤٤].

---

[١٤٠] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٤.

[١٤١] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٤.

[١٤٢] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٦.

[١٤٣] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٨.

[١٤٤] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٩.

- مدرسة بني حديد، وهي من مدارس الفقهاء المالكية بمصر في العصر الأيوبي، وعمل فيها مدرساً محمد سلامة يوسف أبو البركات القضاعي المتوفي سنة ١٢٢٣م. وكانت تدعى ايضاً بالمدرسة المكتبية.

المدارس لتدريس المذهب الحنفي

- المدرسة السيوفية، أول مدرسة أنشئت للحنفية في مصر، بناها صلاح الدين سنة ١١٧٦م، وأصلها دار الوزير المأمون البطائحي، وعرفت بهذا الاسم لان سوق السيوفية يقع على بابها[١٤٥]، ووقف على مستحقيها أثنان وثلاثون حانوتاً، وباب الفتوح، وحارة برجوان. وقرر صلاح الدين في تدريسها ونظر وقفها محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في كل شهر أحد عشر ديناراً، وباقي ريع الوقف على الطلبة. ومن أعيان مدرسيها هم بدر ابن المجني، وجعفر الدميري، وأبو عبد الله الختني، وأبو العباس السروجي[١٤٦].
- المدرسة الأزكشية، أنشأها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، مملوك أسد الدين شيركوه، أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، وجعلها وقفا على فقهاء الحنفية في سنة ١١٩٥م، وتقع في القاهرة على رأس سوق الخروفين، ويعرف اليوم بسوقة أمير الجيوش.وعمل أبو عبد الله البجائي إماماً فيها، ودرس بها أبو الطاهر الجابري المحلي[١٤٧].
- المدرسة العاشورية، تقع هذه المدرسة بحارة زويلة في القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى، وقد تلاشت هذه المدرسة، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة الأمير ايازكوج الاسدي، التي أشترت الدار ووقفتها على الحنفية. وقد درس بها الامام المفسر ابن النقيب[١٤٨].
- المدرسة الغزنوية، وهي من مدارس الفقهاء الحنفية، وتقع هذه المدرسة برأس سويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازوكجية، بناها الامير حسام الدين قايماز النجمي،

---

[١٤٥] العبادي، *في التاريخ الأيوبي والمملوكي*، ص١٠٥.
[١٤٦] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٠.
[١٤٧] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٣.
[١٤٨] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٣.

مملوك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي، وأقام بها الشيخ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن يوسف بن محمد الغزنوى البغدادي[١٤٩].

- المدرسة الفخرية، وبناها استاذ دار الملك الكامل الامير فخر الدين ابن قزل سنة ١٢٣١م، فعرفت بأسمه، ودرس بها الاستاذ أبو أحمد إسماعيل الحنفي المتوفي سنة ١٢٣٩م، المعروف بابن فلوس في القاهرة[١٥٠].
- مدرسة جهاركس، وهي ن مدارس الفقهاء الحنفية في مصر ي العصر الأيوبي، ولقد تم الذكر بأن ابن أبي الوفاء القرشى عن القاضي صدر الدين موسى بن زكريا بن ابراهيم بن محمد المتوفي سنة ١٢٥٢م، انه لما قدم إلى مصر اقام بها في خدمة الملك الصالح ايوب بن محمد وولى التدريس في هذه المدرسة في قضاء العسكر[١٥١].

---

[١٤٩] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١١٥.

[١٥٠] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١١٧.

[١٥١] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٠٤.

مدارس لتدريس المذهبين الشافعي والمالكي

ولم يتم العثور في كتب التاريخ على المدارس التي خصصت لتدريس المذهبين معاً غير مدرسة واحدة وهي المدرسة الفاضلية، ولم يقف الأمر عند صلاح الدين فقط، فقد أنشأ وزيره القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني المدرسة الفاضلية في وسط القاهرة، وكان افتتاحها في الأول من محرم سنة ١١٨٤م، وكانت لتدريس المذهبين الشافعي والمالكي، وخُصصت إحدى قاعاتها لقراءة القرآن الكريم وتعليم علم القراءات، ودرّس بها إمام القراءات الأشهر أبو محمد القاسم الشاطبي ١١٩٩م، وقد مدّ القاضي الفاضل هذه المدرسة بأعظم المكتبات حينها، مكتبة الفاطميين "دار الحكمة"، التي كانت من أعظم مكتبات الحواضر الإسلامية في العصر الأوسط، لذا صارت المدرسة الفاضلية بانضمام هذه المكتبة العظمى إليها أعظم مدارس القاهرة وأجلّها[١٥٢].

المدارس لتدريس المذاهب الأربعة

- المدرسة الكاملية، تقع بقايا هذه المدرسة بشارع المعز لدين الله بحي الجمالية بالقاهرة، بجوار مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق[١٥٣]، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد، ابن الملك العادل في سنة ١٢٢٥م، وتعرف بدار الحديث الكاملية، وهي ثاني دار عملت للحديث، لأن أول من بنى دار للحديث على وجه الأرض هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق، ثم بنى الكامل هذه الدار بين القصرين، وقرر بها المذاهب الأربعة والخطابة[١٥٤]، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم على الفقهاء الشافعية، وأول من تولى التدريس بها هو الحافظ ابو الحطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية، ثم الحافظ العظيم المنذري ثم رشيد العطار[١٥٥].
- مدرسة الصالحية (أو المدرسة النجمية الصالحية، أو مدرسة الصالح نجم الدين أيوب)، فُتحت بمصر أول مدرسة للمذاهب الأربعة سنة ١٢٤٣م، وهي المدرسة الصالحية التي

---

[١٥٢] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤١.
[١٥٣] أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٧٩.
[١٥٤] أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٧٤.
[١٥٥] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٤.

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة[١٥٦]، وهو كما يقول المقريزي: "أول من عمل بديار مصر دروسًا أربعة في مكان واحد، ورتّب فيها دروسًا أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة في ذلك التاريخ"، فكان التأثير العباسي الأخير في هندسة المدرسة، ثم في تطور المناهج وتنوعها في مكان واحد هو الحدث الأبرز في تطور نظام (المدارس/الكليات/الجامعات) المشرقية في عالم العصر الوسيط في القرن السابع الهجري، ولدينا عشرات الأمثلة التي تؤكد أن نمط المدارس حتى العصر العثماني سار على هدي من نظام المدرسة المستنصرية في بغداد، فقد انتهى العصر الأيوبي بإنشاء السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين في مصر مدرسة حملت اسمه "المدرسة النجمية الصالحية"، أقامها بُخط بين القصرين مكان قصر الفاطميين الشرقي بشارع المعز الآن، وشرع في إنشائها مستوحيًا فكرتها من المدرسة المستنصرية ببغداد، حيث وقفها على المذاهب الأربعة، وتأتي أهمية هذه المدرسة أنها أتاحت الفرصة للحنابلة كي يُسهموا بجهودهم في حركة الإحياء السني في مصر، ذلك أنهم حتى تاريخ إنشاء هذه المدرسة كانوا الفئة الوحيدة من بين أهل السنة الذين لم يهتم الأيوبيون الأولون بإنشاء مدراس لها، ويبدو أن السبب وراء ذلك يتمثل في أن الحنابلة كانوا قلة في مصر[١٥٧].

المدارس للتدريس الإسلامي بشكل عام

- مدرسة الفخرية، عمرها الامير فخر الدين ابو الفتح عثمان بن قزل البارومي، استادار الملك الكامل الأيوبي سنة ١٢٢٦م، وتقع بين سويقة الصاحب ودرب العداس في مصر. ومن العلماء الذين درسوا بها: ابن فلوس، وابن الخليلي، وشهاب الدين العسجدي[١٥٨].
- مدرسة الصيرمية، وتقع برأس سوق الضببية من خط باب الفتوح في مصر، أنشأها الامير جمال الدين شويخ بن صيرم، احد أمراء الملك الكامل المتوفي في سنة

---

[١٥٦] أحمد، *العمارة الإسلامية في مصر*، ص١٨٣.
[١٥٧] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٧.
[١٥٨] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٥.

١٢٣٨م، وقد أزيلت الآن وبني في مكانها زاوية صغيرة تعرف بزاوية سوق الضبيبة وأغلب أوقاتها معطلة[١٥٩].

- مدرسة المعظم توران شاه، وهذه المدرسة عمرها صلاح الدين على ضريح المعظم توران شاه سنة ١١٨١م، وتقع في الإسكندرية[١٦٠].
- مدرسة السديد، أنشأها علي بن محمد بن سليم بن القاضي السديد، وتقع بزقاق القناديل في القاهرة، وقد درس فيها ابي يعقوب يوسف الاصولي المالكي المتوفي سنة ١١٨٠م[١٦١].
- مدرسة المسرورية، وتقع بحارة الأمراء، وهي منسوبة إلى شمس الخواص مسرور، أحد خدام القصر في العصر الفاطمي، وقد امتد به العمر إلى ايام صلاح الدين الأيوبي فأختص بخدمته ومات في ايام سلطنة الكامل على مصر، وبعد ذلك تحولت داره بعد وفاته إلى هذه المدرسة بناءاً على وصية منه بذلك، وبعد ذلك تحولت إلى زاوية متخربة برأس حارة درب شمس الدولة بالسكة الجديدة، تجاه عطفة جامع الجوهري[١٦٢].

٥.٣.٣.١. الخوانق

أن أصل الخنقاة هي الزاوية، وجمعها الزوايا، وجمع الخنقاه هو الخوانق، وبالفارسية تسمى الخوانك جمع خانكاه، ومعناها البيت، وهي الموضع التي يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الاربعمائة من سنى الهجرة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعإلى، والزاوية كلمة مأخوذة من الفعل انزوى وبمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، وأنشأت الزوايا أول الأمر ملحقة بالمساجد، ثم تطورت إلى أبنية صغيرة للصلاة والعبادة يتخذها أحد المشايخ المشهورين بالتقوى والصلاح سكناً له، ولمن يتردد عليه من العابرين ويقوم بالوعظ والارشاد لمن يتردد عليه من الناس، وكذلك تطلق الزاوية على الرباط الذى تنشئه إحدى

---

[١٥٩] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٤٥.

[١٦٠] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٢٧.

[١٦١] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٢٨.

[١٦٢] سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، ص١٢٩.

الفرق الصوفية، اما الربط فهي جمع رباط وهو البناء المحصن الذى يقام قرب الحدود، إلا أن الرباط يطلق أيضاً على الدار التي يسكنها اهل طريق الله، والربط بهذا الوصف لا يتعدى أن يكون هو الأخر زاوية أو خانقاة[١٦٣]، ولقد أدت هذه المؤسسات وظائف تعليمية وإصلاحية بجانب قيامها بوظيفتها الأساسية: وظيفة التصوف، فبجانب كونها أماكن للانقطاع للعبادة، كانت مراكز علمية تحتوى على مكتبات تضم كتباً تراثية متنوعة، وتلقى فيها دروس الفقه، والحديث، والقراءات، ويتدارس في خلواتها كثير من العلوم كالتصوف، والطب، والنحو، والصرف وغيره كله بحسب جهده وطاقته وإلمامه بأطراف هذه العلوم، ويمكن القول إنها معاهد دينية أنشئت لإيواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف، والخوانق كانت أشبه بالمدارس العامة اليوم لأنها كانت فعلا مدارس مفتوحة للعامة ممن نذروا انفسهم لحياة الزهد والتقشف[١٦٤].

والخلاصة أن الخوانق في الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية واجتماعية وثقافية هامة في حياة المجتمع الإسلامي منذ نشأتها في غالب الظن في القرن الخامس للهجري (١١ للميلادي)، فهي كانت أولاً معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، وكانت ثانياً مواقع إيواء لكل وافد من الديار الإسلامية الاخرى ممن لم يكن لهم مأوى، وكانت ثالثاً مراكز اشعاع ثقافي بما احتوته بعض مكتباتها من الكتب في كافة العلوم والمعارف.

أما عن الذين قاموا بالعمل في الخوانق فهم متعددون، فمنهم: شيخ الخنقاة، وإمام الخنقاة، وناظر وقف الخنقاة، ومدرسو المذاهب ومعيدوهم، والكحال، والجرائحي، والطبائعي، وخازن الكتب، وكاتب الغيبة، والشاهد، والمؤذن، والمزملاتي، ومشرف الحمام، ومشرف المطبخ، والطباخ، وخادم الشيخ، وخادم الربعات الشريفة، والبواب، والفراش، والسواق الساقية، والوقاد وغيرهم. وهذا يدل على الكم الهائل من الوظائف التي كانت تقوم بها الخوانق في ذلك العصر[١٦٥].

---

[١٦٣] عاشور، *الأيوبيين والمماليك في مصر والشام*، ص١٣٨.

[١٦٤] رزق، رزق، *خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي*، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٧.

[١٦٥] رزق، *خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي*، ص٣٠.

والخوانق في مصر عرفت متأخراً في العصر الأيوبي وكان ذلك بفضل صلاح الدين الأيوبي الذي نقل الخنقاة بنظمها ولوائحها وأحباسها، وأختصت الدار الفاطمية سعيد السعداء بها بعد ان عدل كيانها المعماري لتفي بالغرض الذي سعى اليه ولتؤدي من خلاله رسالتها التي أنيطت بها، والكلام بهذا الصدد كثير، وأما الموضوع المهم من الخوانق هو الدراسة الإسلامية التي كانت قائمة فيها، فقد أعتبر مشيخة الخوانق من الوظائف التي يصدر بها مرسوم من ديوان الدولة، واختلفت مكانة كل شيخ من شيوخ الخوانق تبعا لأهمية الخنقاة التي يتولى مشيختها، واشترط فيه ان يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، وان لا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة للعمل، وكذلك الحال بالنسبة للمدرسين، كانت وظيفتهم جليلة القدر يخلع السلطان على صاحبها ويكتب له توقيعا من ديوان الإنشاء يختلف باختلاف المادة التي سيقوم بتدريسها، ولكل مدرس معيد أو اكثر مهمته أن يعيد للطلبة ما ألقاه الشيخ حتى يزيد فهمهم له ويحسنوه[١٦٦].

أما بالنسبة للطلاب فكانوا يتمتعون بحرية اختيار المواد التي يدرسونها، وكثيرا ما اعتمد هذا الاختيار على المدرس وشهرته العلمية، ويظل الطالب يدرس مع أحد المدرسين أو الشيوخ حتى يأخذ منه كفايته، ثم ينتقل إلى الاخر وهكذا، فإذا أتم الطالب دراسته وتأهب للفتيا والتدريس أجاز له سيخه ذلك وكتب له إجازة تشتمل على اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ حصوله عليها إلى غير ذلك حتى يبيح القيام بالفتيا والتدريس، وأما بالنسبة للمكاتب في الخوانق، فإن غالبية الخوانق تحتوى على خزانة للكتب تضم العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، يرجع اليها العديد من الطلاب والمدرسين لغرض البحث والدراسة وزيادة المعلومات في مجال تخصصه، وكان يشرف على خزانة الكتب أمين للمكتبة يقال له خازن الكتب، فكانت وظيفته ترتيب الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها وترميمها وإرشاد القراء إلى ما يلزمهم منها، فيكون اختيار الخازن له شروط، فيجب أن يكون فقيهاً عالماُ يراعي سعة العلم والأمانة[١٦٧].

وكمثال الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء، ولعل الخوانق قد اشتهرت بالعصر المملوكي بشكل أوسع نطاقاً من العصر الأيوبي، إلا أننا سوف نتطرق إلى واحدة من أهم الخوانق في

---

[١٦٦] طقوش، *تاريخ الأيوبيين في مصر والشام وإقليم الجزيرة*، ص٢١٤.
[١٦٧] رزق، *خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي*، ص٣٢.

العصر الأيوبي، وهي الخانقاة الصلاحية، وكانت تقع بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وهي في الأصل دار سعيد السعداء من الدولة الفاطمية، وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أو بيان، وهو أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمي عتيق الخليفة المستنصر بالله، وأمر الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ان تكون هذه الدار لفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة ١١٧٣م، وكانت تدرس بها المذهب الشافعي، ومن أبرز مدرسيها الشيخ نجم الدين الخبوشاني، والشيخ صدر الدين ابو المحاسن محمد بن حموية الجويني، وإبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الكريم الشافعي[١٦٨].

[١٦٨] رزق، *خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي*، ص١٢٧.

٢. التربية الإسلامية في العصر المملوكي في مصر

في هذا الفصل سوف يتم التطرق إلى ثلاثة مواضيع أساسية لغرض جوهرة ما تم تدوينه في كتب التاريخ والبحوث العلمية، وهي: نبذة تاريخية عن عهد المماليك في مصر، والتعليم في عصر المماليك في مصر، والتربية الإسلامية في العهد المملوكي.

٢ .١. نبذة تاريخية عن المماليك في مصر

المماليك في اللغة.

هم العبيد أو الرقيق، وبالأخص هم الذين سبوا ولم يسب أباؤهم ولا أمهاتهم، والمملوك جمعه مماليك، وهو العبد الذي يباع ويشترى، أما العبد الذي سبي أبواه يعرف بالعبد القن وليس المملوك.

ومع أن لفظ المماليك بهذا التعريف يعد عاما على معظم الرقيق، إلا أنه اتخذ مدلولا اصطلاحا خاصا في التاريخ الإسلامي وذلك منذ أيام الخليفة العباسي المأمون الذي حكم من سنة ١٩٨هـ إلى ٢١٨ هـ، وأخيه المعتصم الذي حكم من سنة ٢١٨هـ إلى ٢٢٧هـ، ففي مدة حكم هذين الخليفتين أستجلب أعدادا ضخمة من العبيد الرقيق البيض عن طريق الشراء من أسواق النخاسة، واستخدموهم كفرق عسكرية خاصة بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم، وبذلك ومع مرور الوقت أصبح المماليك هم الإدارة العسكرية الرئيسية، وأحيانا الوحيدة في كثير من البلاد الإسلامية.

وكان أمراء الدولة الأيوبية بوجه خاص يعتمدون على المماليك الذين يمتلكونهم في تدعيم قوتهم ويستخدمونهم في حروبهم، لكن كانت أعدادهم محدودة إلى حد ما، إلى أن جاء الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحدثت فتنة خروج الخوارزمية من جيشه، فاضطر إلى الاكثار

من المماليك حتى يقوي جيشه ويعتمد عليهم. وبذلك تزايدت أعداد المماليك بشكل ملفت للنظر وخاصة في مصر[١٦٩].

أصل المماليك.

عندما يتفحص الباحث تاريخ الشرق الأدنى منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي حتى مطلع العصور الحديثة يلاحظ المدى الذي تأثر به هذا التاريخ بحركات المماليك، ويلمس في الوقت نفسه كيف نعمت هذه المنطقة أو عانت عقب تمكنهم في مصر وبلاد الشام، وإذا ما تفحصنا أحداث التاريخ في مصر وبلاد الشام في الفترة المشار إليها نلاحظ أنها تأثرت بالدور الذي أداه المماليك الذين قدموا اليها نتيجة السبي في الحروب أو الشراء[١٧٠].

وبعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، كانت الحرب قائمة ضد الفرنجة الصليبيين، فتقلد الحكم ابنه توران أنشاه الذي قتل الاثنين في ٢٧ من محرم سنة ١٢٥٠م، وبهذا انتهى عصر الدولة الأيوبية وبدأ عصر الدولة المملوكية بتولي شجرة الدر الحكم وبعدها عز الدين أيبك ليبدأ الحكم الفعلي لدولة المماليك. وقد تعاقبت على حكم هذه الدولة الكثير من السلاطين والأمراء المماليك, انتهى عصر هذه الدولة بهزيمتها أمام العثمانيين في بلاد الشام في معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، وهزيمتهم في مصر في معركة الريدانية ١٥١٧م[١٧١].

قيام دولة المماليك في مصر.

كان الملك الصالح نجم الدين أيوب قد استكثر من شراء المماليك، وجعل منهم أمراء دولته وبطانته. وشيد لهم قلعة في جزيرة الروضة سنة ١٢٤٠م، ليسكنوا فيها، لذلك سموا بالمماليك البحرية نسبة إلي سكنهم في الجزيرة علي البحر (النيل)، وعندما توفي الملك الصالح، جاء ابنه توران شاه من الشام ومعه قادته الذين ميزهم علي القادة المماليك الذين كانوا من خاصة الملك الصالح، فغضب المماليك لذلك، واتفقوا علي التخلص من توران شاه، فقتلوه وولوا عز الدين أيبك الذي كان قائد العسكر في مصر، وأقواهم نفوذاً وقوة، وظل المماليك

---

[١٦٩] سامي المغلوث، سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، *أطلس تاريخ العصر المملوكي*، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠١٣م، ص١١.

[١٧٠] طقوش، *تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام*، ص١٥.

[١٧١] ابو هوشيل، محمد عطية ابو هوشيل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي*، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ والأثار، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٢م، ص٢٥.

البحرية يحكمون مصر لمدة ١٣٠ عاماً (١٢٥٠م – ١٣٨١م)، وكانت هذه الفترة تعد العصر الذهبي للماليك في مصر، جاءت الدولة المملوكية لتستعيد فتوة وقوة الخلافة الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية أمام ضربات المغول، ولولا هذه التغيرات التي كانت تجدد دماء الحكام لما استطاعت الخلافة الإسلامية أن تتوسع علي حساب الفرس والروم وتصد أعدائها من الصليبيين والتتار علي مر ٩٠٠ عام.

أصبح عز الدين أيبك الذي كان قائداً للعسكر في عهد شجر الدر سلطاناً علي مصر بعد زواجه منها سنة ١٢٥٠م وبه بدأت دولة المماليك في مصر ولقب بلقب "الملك المعز الجاشنكير التركماني الصالحي"، ولقد واجه عز الدين أيبك خطر الأيوبيين الذين كانوا يسيطرون علي الشام وينقمون علي الدولة المملوكية الناشئة، ودارت الحرب بين الأيوبيين والمماليك، وانتصر المماليك عند العباسة في فبراير ١٢٥١م، ولكن الخليفة العباسي تدخل ليصلح بينهما ويوحدهما ضد المغول الذين كانوا علي أعتاب مقر الخلافة الإسلامية في بغداد، وبمقتضي الصلح صار للمماليك حكم مصر وفلسطين وصار للأيوبيين بقية الشام.

تمرد عز الدين أيبك علي سطوة شجر الدر، وأراد أن يتزوج من ابنة حاكم الموصل، مما دعاها إلي تدبير مؤامرة لقتله فانقض عليه خمسة من عبيدها وقتلوه في الحمام عام ١٢٥٧م، ولكن شجر الدر لاقت المصير نفسه عندما تولي ابنه نور الدين علي السلطنة فقبض عليها وعهد بها إلي نساء بيته فأنهلن عليها بالقباقيب حتى لفظت أنفاسها وألقي بجثتها في خندق بالقلعة ثم دفنت بعد ذلك في مقابر بجوار السيدة نفيسة، ويقال: إن شجر الدر هي أول من أرسل المحمل من مصر لمكة[١٧٢].

تولي بيبرس حكم مصر في العهد المملوكي.

أجمع الأمراء علي تولية بيبرس، صاحب الانتصارات الشهيرة علي المغول، حكم مصر. فتولي الحكم سنة ١٢٦٠م، وأثبتت أعماله وحروبه أنه المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر والشام حيث بقي في الحكم ١٧ عاماً، أراد بيبرس أن تستمد ولايته لمصر شرعيتها من الخلافة العباسية مثل كل الولايات السابقة الأيوبية، فعمد إلي إحياء الخلافة العباسية التي

---

[١٧٢] زقلمة، أنور زقلمة، *المماليك في مصر*، الطبعة الأولى، مكتبة لسان العرب، الناشر مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١١٤.

كانت قد سقطت بدخول المغول بغداد وقتلهم الخليفة العباسي وكل فرد من أفراد السلالة العباسية إلا أمير واحد نجا من مذبحة العباسيين في بغداد وهو أحمد ابن الإمام الظاهر.

فاستقدمه بيبرس عام ١٢٦١م، وعقد بيبرس مجلساً من العلماء والقضاة والأمراء وأقروا بصحة نسب الأمير إلي البيت العباسي ولقبوه بالخليفة المستنصر، ثم بايعه بيبرس وباقي رجال الدولة، وبعد ذلك قام الخليفة بمنح بيبرس تفويضاً بحكم مصر والشام والفرات، ولكن الخليفة العباسي الجديد أثناء توجهه إلي بغداد ليتولى الخلافة وقع في يد دورية مغولية في الطريق فقتلوه وقطعوه إرباً.

إليه ينسب حي الظاهر في القاهرة نسبة إلي جامع الظاهر الذي شيده ويقع في ميدان الظاهر حالياً، وهذا الجامع من أعظم ما شيده الظاهر من مساجد في مصر، ولقد بدئ العمل في بنائه سنة ١٢٦٦ م، وتم بناؤه سنة ١٢٦٩ م، ولكن الفرنسيين أثناء الحملة الفرنسية قاموا بهدم المنارة التي تعلو الباب البحري، وسكنه بعض جنودهم، فتخرب كثير من أجزائه، وحوّله محمد علي إلي مصنع للصابون، ثم استغله الإنجليز بمذبح في الحرب العالمية الأولي، ثم استعادته اللجنة العربية لحفظ الآثار سنة ١٩١٨م، ورممت بعض أجزائه، كما شيد بيبرس قنطرة السباع علي الخليج المصري ونصب عليها سباعاً من الحجارة لأن شعاره كان علي شكل سبع، وكانت تعرف بقنطرة السيدة زينب، كما شيد الكثير من المباني، منها مدرسة أنشأها سنة ١٢٦١م بجوار تربة سيده الصالح نجم الدين أيوب بشارع بين القصرين، ولكنها تهدمت الآن بسبب فتح شارع بيت القاضي، مات بيبرس في يوليو١٢٧٧م بالحمي أثناء حملة له في الشام وكان في الستين من عمره ودفن في دمشق. حكم بيبرس مصر ١٧ عاماً، وكانت له فتوحات عظيمة علي المغول والصليبيين حتى لقب بأبي الفتوحات، وكما أن صلاح الدين كسر شوكة الصليبيين في أوج قوتهم، كسر بيبرس شوكة المغول وأوقف تقدمهم وحمي مصر من الخراب الذي تعرضت له بلاد الفرات والشام، وبذلك أمن لمصر مكانتها الثقافية والسياسية في العالم العربي[١٧٣].

---

[١٧٣] زقلمة، *المماليك في مصر*، ص ٢١٠.

السلطان المنصور يتولى حكم مصر في العهد المملوكي.

بعد وفاة بيبرس تولي السلطنة ابنه السعيد أبو المعالي وكان عمره ١٨ عاماً، ولكن الأمراء المماليك تآمروا ضده وحاصروه في القلعة حتى أجبر علي التخلي عن السلطنة وغادر مصر إلي الكرك ومكث هناك حتى مات بعد سنة واحدة، تولي السلطنة بعده أخيه الأصغر سلامس (أو سلامش) الذي كان يبلغ من العمر ٧ سنوات، فإنتهز سيف الدين قلاوون قائد العسكر والوصي علي السلطان الصغير هذه الفرصة وخلع السلطان الصغير وأصبح سلطاناً علي البلاد عام ١٢٧٩ م.

يعتبر السلطان قلاوون هو المنشئ الثاني للدولة المملوكية ومؤسس أسرة مملوكية عريقة من المماليك البحرية ظلت تحكم مصر لمدة مائة عام إلي جانب الشام والحجاز واليمن، ويعتبر قلاوون هو أعظم شخصية مملوكية حكمت مصر بعد بيبرس، فإليه يعزي الفضل في صد الهجمة الثانية للمغول علي المشرق الإسلامي، فقد خرج لملاقاتهم في حلب التي دخلوها عام ١٢٨٠م، ودمروا ما حولها من بساتين وقتلوا الكثير من أهلها، وعندما سمعوا بخروج قلاوون لهم فروا راجعين إلي بلادهم. ولكنه التقي بهم في حمص سنة ١٢٨٢م، وهزمهم هزيمة منكرة، كما أن أهم إنجازات السلطان قلاوون هو طرد الصليبيين من أقوي معاقلهم في الشام فقد استولي علي اللاذقية عام ١٢٨٧م ثم طرابلس عام ١٢٨٩م، استمر حكم المنصور قلاوون حتى وافته المنية وهو في السبعين من عمره في ٥ ذي القعدة في ١٠ نوفمبر ١٢٩٠م، ودفن في منطقة بين القصرين بالقاهرة، وترك ثلاثة أبناء اختار منهم الأشرف خليل ليخلفه في الحكم.

السلطان المنصور سيف الدين قلاوون هو واحد من أربعة سلاطين عظام زينوا القاهرة بمنشآتهم الضخمة ومبانيهم العظيمة التي لا تزال قائمة حتى اليوم تشهد بعظيم همتهم وقوة شكيمتهم ورفيع ذوقهم وهم صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وسيف الدين قلاوون ومحمد بن قلاوون.

أهم ما أنشأه المنصور سيف الدين قلاوون في القاهرة ومازال موجوداً إلي الآن هو مارستان (مستشفى) ومدرسة وتربة، غلب عليها اسم مارستان قلاوون وتقع في شارع بين القصرين ويشغل مساحة كبيرة منه الآن مستشفى قلاوون للرمد، وتعود قصة إنشاء المارستان أن قلاوون مرض في إحدى غزواته في الشام فعولج بأدوية استحضرت له من مارستان نور

الدين في دمشق، فنذر قلاوون أن ينشئ مارستاناً في مصر مثل مارستان نور الدين لعلاج المرضي من جميع الأديان والأجناس.

ويذكر شحاته عيسى في كتابه "القاهرة" أن المارستان كان مكوناً من أجنحة كثيرة، يختص كل جناح منها بعلاج مرض من الأمراض، وكانت توجد به غرفة للمطالعة ومعامل كيميائية وصيدلية، وحمامات ومطبخ، بل وكانت توجد فرقة موسيقية تعزف لتخفيف آلام المرضي، وخمسون من القراء يرتلون القرآن الكريم، وفوق هذه وذاك كان هناك مكتب لتعليم القراءة والكتابة لعدد من أطفال المسلمين اليتامى[١٧٤].

تولي الناصر محمد حكم مصر في العهد المملوكي.

تولي السلطان الناصر الحكم بعد وفاة اخيه سنة ١٢٩٣م، ولكن حيكت ضده مؤامرات كثيرة من قادة الجند وعزل عن السلطة أكثر من مرة، ولكنه استتب له الحكم بداية من سنة ١٣٠٩م / ٧٠٩هـ وظل يحكم بداية من هذه السنة ٣٢ عاماً، وهي تعتبر أطول مدة حكم لأحد سلاطين مصر منذ سقوط الخلافة الفاطمية في مصر.

يعتبر عصر السلطان محمد ابن قلاوون من أزهي عصور الدولة المملوكية حيث ارتفعت منزلة الدولة بعد أن بسطت نفوذها علي الحجاز واليمن، كما عقد معاهدات مع ملوك أوربا وآسيا، وأحدث تطويراً في نظام الحكم حيث زاد في وظائف الدواوين وحدد الاختصاصات، كما يعد عهده من أزهي عصور العمارة المملوكية، وأهم ما أنشئ في عصر الناصر محمد بن قلاوون هي مدرسة بالنحاسين والمدرسة الجاولية بشارع مراسينا وخانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية، وتربة حسن صدقة ومسجد الناصر محمد بالقلعة وسراي بشتاك بشارع بين القصرين وجامع المارداني بالدرب الأحمر.

أكمل الناصر محمد المدرسة سنة ١٣٠٣ م، وعين بها مدرسين للمذاهب الأربعة، وألحق بها مكتبة حافلة، وألحق بها قبة نقل إليها رفات والدته، كما دفن بها ابنه أنوك، لم يتبق منها الآن إلا الإيوان الشرقي، ويقول شحاته حسن إبراهيم في كتابه "القاهرة" أن الإيوان الشرقي

---

[١٧٤] يانج، المستر جورج يانج، *تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم إسماعيل*، تعريب علي أحمد شكري، مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٣٠.

به محراب جصي نادر المثال، والإيوان الغربي به شباك من الجص غاية في الدقة، أما مسجد الناصر في القلعة فقد أنشأه الناصر محمد سنة ١٣١٨م، وأقامه علي النظام القديم من حيث الصحن المكشوف وتحيط به أربعة أواوين من أربع جهات، وفي عهد الناصر محمد، أصاب مصر الجفاف عام ١٢٩٥م نتيجة هبوط مستوي النيل فجفت الترع ونفقت الدواب والطير، حتى أكل الناس الكلاب والقطط، وظهر الوباء فحصد ثلث السكان[١٧٥].

تولي السلطان حسن الحكم في العهد المملوكي.

بعد وفاة الملك الصالح علاء الدين عام ١٣٤٥ م، خلفه شقيقه الكامل شعبان، ولكن المماليك تآمروا ضده لقسوته واغتالوه وولوا من بعده شقيقه الأصغر المظفر حاجي، ولكم المظفر حاجي لم يكن أحسن خلقاً فقد تسلط علي المماليك حتى قتلوه عام ١٣٤٧م، وتولي حسن بن الناصر محمد بن قلاوون حكم مصر بعد أخيه مظفر حاجي في ديسمبر ١٣٤٧م وكان عمره وقتئذ ١٣ سنة، فقام بالوصاية عليه الأمير شيخون العمري، ولكن لم يمنعه ذلك من مزاولة الحكم بنفسه فاستبد وبالغ في أسباب الطمع واستولي علي أملاك بيت المال فأعتقل سنة ١٣٥١م وخلفه أخوه الصالح صلاح الدين صالح، ولكنه أُعيد إلي الملك ثانيةً سنة ١٣٥٤م وظل متربعاً علي عرش السلطنة ٦ سنوات حتى قتل عام ١٣٦١م، وعلي الرغم أن دولة المماليك كانت في احتضار، فإن عهد السلطان حسن شهد بناء مسجد السلطان حسن بالقلعة، الذي يعد من أبدع الآثار المعمارية الإسلامية في القاهرة، وهو أضخم مساجد مصر وأعلاها بنياناً وأكثرها فخامة وأحسنها شكلاً، وتبلغ مساحته ٧٩٠٦ مترا مربعاً وارتفاعه عند بابه ٣٧ متراً، استمر العمل بالمسجد خمس سنوات من ١٣٥٦م إلي ١٣٦١م.

في عهد السلطان حسن ظهر الطاعون في مصر وأهلك الآلاف من سكان مصر، ولقد ظهر الطاعون في وسط آسيا ثم انتقل إلي أوروبا ومصر وبلاد الشام عام ١٣٤٨م ووصل لذروته عامي ١٣٤٨م و١٣٤٩م فكان يموت من سكان القاهرة عشرون ألف شخص يومياً حتى انتهي سنة ١٤٥٠م.

---

[١٧٥] زقلمة، *المماليك في مصر*، ص٢٣١.

اغتيال السلطان حسن ونهاية المماليك البحرية.

بعد اغتيال السلطان حسن تولي بعده ابن شقيقه الملك المنصور محمد واستمر في الحكم حوالي سنتين حتى خلعه المماليك وبايعوا الأشرف شعبان للحكم عام ٧٦٤هـ، الذي مكث في الحكم علي الرغم من الفتن والمؤامرات حتى قتله المماليك عام ١٣٧٦م، خلف الأشرف شعبان ابنه المنصور علي الذي مكث حوالي خمس سنوات ومات بالطاعون عام ١٣٨١م، فخلفه شقيقه السلطان الصالح أمير حاج وكان طفلاً صغيراً فخلعه المماليك وبايعوا برقوق وهو أول المماليك البرجية ومؤسس الدولة المملوكية الثانية.

علي الرغم من أن كل الملوك الذين جاءوا بعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم تكن لهم أهمية تذكر، إلا أنه وجب ذكرهم حتى يتبين لنا مدي التفسخ الذي أصاب الحياة السياسية في مصر علي يد السلاطين المماليك الضعفاء الذين خلفوا السلطان الناصر محمد بن قلاوون، هذا الضعف السياسي أثر علي كل جوانب الحياة في مصر في ذلك العصر فتوقفت الإنشاءات المعمارية والفتوحات، وسيطر علي مصر الضعف السياسي بسبب الصراع علي السلطة والضعف الاقتصادي بسبب المجاعات والأوبئة التي اجتاحت مصر في هذه الفترة أكثر من مرة[١٧٦].

العصر المملوكي الثاني في مصر.

علي الرغم أن المماليك البحرية قد وصلوا إلي منتهي الضعف في أواخر عصرهم، إلا أنهم في مجمل الأوضاع كانوا أكثر تنظيماً من المماليك البرجية الذين نزعوا إلي حياة الترف والبذخ وتخلفوا في الصناعات الحربية عن الفرنجة والعثمانيين، في حين نجد المماليك البحرية بقيادة بيبرس يكسرون شوكة المغول بقيادة هولاكو، نجد المماليك البرجية يفشلون في التصدي للمغول بقيادة تيمورلنك ولكن لحسن حظهم اعتنق تيمورلنك الإسلام وعقدوا معه هدنة جعلت مصر آمنة من هجمة المغول الثانية، كان برقوق وصياً علي آخر أحفاد الناصر محمد بن قلاوون، الأمير حاج بن شعبان، واستطاع برقوق أن يصبح سلطاناً بعد إقصاء هذا الطفل من

---

[١٧٦] يانج، *تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل*، ص ٣٩٤.

الحكم بمعونة كبار رجال الدولة عام ١٣٨٢ م، يعتبر برقوق هو مؤسس دولة المماليك الثانية من المماليك البرجية الذين كانوا يسكنون القلعة وأصلهم من الشركس[١٧٧].

شهدت الفترة الأولي من حكمه اضطرابات بين المماليك البحرية والمماليك الشراكسة أدت إلي إقصائه عن كرسي السلطنة وسجنه في الكرك، ولكنه هرب من سجنه وأعاد تنظيم أنصاره واستطاع العودة إلي الحكم مرة ثانية، وتوفي السلطان برقوق عام ١٣٩٩ م، بعد أن حكم مصر ١٧ عاماً[١٧٨].

السلطان طومان باي وزوال دولة المماليك.

ارتدت قوافل جيش المماليك المنهزمة أمام العثمانيين عائدة إلي مصر ودخلت القاهرة في أكتوبر عام ١٥١٦ م، وقاموا بتولية طومان باي خلفاً لقنصوه الغوري، رفض طومان باي إنذار سليم الأول بإخضاع مصر لسلطان العثمانيين، وأخذ يستحث المماليك للخروج لملاقاة جيش العثمانيين قبل أن يدخلوا مصر، ولكنهم تقاعسوا حتى دخل عليهم العثمانيون مصر ووصلوا إلي الصالحية.

استمرت دولة المماليك في مصر لأكثر من قرنين ونصف من الزمان من سنة ١٢٥٠م إلي ١٥١٧م، وتنقسم إلي قسمين: المماليك البحرية من اصول تركية، وكانوا يعيشون في معسكرات علي النيل في الروضة وحكموا من سنة ١٢٥٠م إلي ١٣٩٠م من خلال ٢٤ سلطاناً، والقسم الآخر المماليك البرجية من أصل قوقازي، وكانوا يعيشون في أبراج حول قلعة القاهرة (قلعة الجبل) وحكموا من سنة ١٣٩٠م إلي ١٥١٧م من خلال ٢٣ سلطاناً، وانتهي حكمهم حين تغلب عليهم العثمانيون الأتراك بقيادة سليم الأول[١٧٩].

وتميزت دولة المماليك أنها لم تكن دولة عائلية يتم توارث السلطة في داخل عائلة واحدة مثل الدولة الأيوبية مثلاً أو الخلافة الفاطمية، وإنما كانت دولة من قواد العسكر، وكان السلطان المملوكي الأقوى من بين زملائه وهو يملك القوة العسكرية التي تضمن له السيطرة

---

[١٧٧] يانج، *تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل*، ص ٤٣٠.

[١٧٨] طقوش، محمد سهيل طقوش، *تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام*، الطبعة الأولى، دار النفاش للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٨١.

[١٧٩] موير، وليم موير، *تاريخ دولة المماليك في مصر*، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٥٢.

والحكم، هذه المنافسة بين قواد العسكر مكنت دولة المماليك من الاحتفاظ بقوتها وشبابها لمدة ٢٥٠ سنة، وتصدت أعتى الهجمات علي الأمة الإسلامية وهي الهجمات المغولية، كما استطاعت أن تطهر أقاليم الشرق من الصليبيين نهائياً، ولم ينتابها الضعف إلا في أواخر عهدها حين غرقت في حياة الترف والبذخ، وبعد خسارتها المورد الرئيسي من الأموال التي كانت تحصلها من إشرافها علي الطريق التجاري الذي يمر من البحر المتوسط إلي البحر الأحمر، وذلك بعد اكتشاف طريق رأس رجاء الصالح.

يعد عهد المماليك هو العصر الذهبي للعمارة في مصر، فقد كان الإقبال عظيماً علي الإنشاء والتعمير، وذلك بسبب كثرة الأموال التي انهالت عليهم من التجارة الشرقية والممر التجاري الذي كان يمر عن طريق مصر من أوربا إلي آسيا، ولقد تسابق سلاطين المماليك في إقامة المساجد الفخمة والقصور الشاهقة وأقاموا الجوامع والمدارس والأسبلة والحمامات والوكالات[١٨٠].

---

[١٨٠] حسين، حمدي عبد المنعم محمد حسين، *تاريخ الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، ص٢٦٠.

٢.٢. التعليم في عهد المماليك في مصر

مساهمة دولة المماليك للعلم والتعليم

حرص سلاطين المماليك على تشجيع العلماء وتقريبهم من مجالسهم، صحيح أنهم لم يصلوا إلى درجة السلاطين الأيوبيين في العلم ومراتبه وبالأخص في العلوم الدينية، إلا أنهم ساروا على نهج أسلافهم في تشجيعهم للعلم والتعلم، فقد كانوا يستشيرون العلماء في الكثير من القضايا، فقد كان سلاطين المماليك على قدر وافر من العلم والديانة والحرص على ملازمة الصلوات وإقامة الفرائض والقضاء على المحرمات ومحاربتها[١٨١].

شهدت مصر حياة ثقافية حافلة بمختلف العلوم والفنون، خلافا للحياتين السياسية والاجتماعية، وذلك لاهتمام المماليك بالمدارس والزوايا والربط، فأصبحت القاهرة عامرة بها، زاخرة بمجالس العلم والأدب، غاصة بأسواق الكتب والورارقي،. فأمها الطلابُ والشيوخ راغبين في التحصيل العلمي والعطاء المعرف، ووقفت على المدارس أوقافٌ كثيرة، ورتبت الرواتب الشهرية للفقهاء والعلماء، وللطلبة أحيانا، ولها نظام تدريس يقوم به شيوخ ومدرسون ومعيدون، فالشيخ هو أستاذ المادة يساعده المدرس، ويعيد المعيد دروس الشيخ لتفهيم الطلبة وسماعها، والطلبة أقسام ثلاثة: المبتدئ والمفيد ثم المنتهي، وعرف هذا العصر حركة نشيطة في التأليف، فظهرت الموسوعات التي تجمع أنواعا شتى من المعارف والعلوم، وكثر تأليف المتون والشروح والحواشي، وبخاصة في علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والأصول، فضلا عن علوم اللغة، خدمة للكتاب والسنة، كما برز شعراء سجلوا مواقفهم واحساسهم من عصرهم.

إن السلاطين المماليك وأمراءهم قد ساروا على نهج أسلافهم الأيوبيين في إنشاء المدارس ووقفها على المذاهب الأربعة أو بعضها، فقد أنشأ المعز أيبك التركماني مدرسة، وأنشأ المظفر قطز مدرسة، وعمر الظاهر بيبرس مدرسة ووقف عليها درسين للفقه الشافعي والحنفي، كما أقر بها درساً للحديث ودرساً للقراءات السبع، وأنشأ السلطان قلاوون مجمعا علماً ضخماً ضم مدرسة وقبة وبيمارستاناً، وقد رتب بالمدرسة دروساً للفقهاء الأربعة ودرساً للطب، وبالقبة

---

[١٨١] العطاري، جلال يوسف العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الاول*، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م، ص١١.

دروساً على المذاهب الأربعة والحديث النبوي وتفسير القرآن، والأمثلة على مساهمة السلاطين في بناء المدارس كثير، والمهم هو معرفة مدى أهمية دور السلاطين في العصر المملوكي بالمساهمة في نشر العلوم والثقافة بين أفراد المجتمع[١٨٢].

وكصفتي باحث في هذه الدراسة المتعلقة بالتربية الإسلامية التي كانت قائمة في العصر المملوكي في مصر بالإضافة إلى العصر الأيوبي، يجب الإشارة إلى أن التربية الإسلامية لم تكن لها مفهوماً منفرداً أو درساً خاصاً تدرس كمادة منفصلة عن باقي العلوم الدينية، إلا أنها كانت مدمجة المفهوم والذاتية، فالتربية الإسلامية كانت تُفَهَم للفرد او المتعلم من خلال تدريس القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية الشريفة، وكل هذه الدراسات الدينية كانت تعطى في مراكز التعليم التي كانت موجودة في ذلك العصر بالإضافة إلى باقي العلوم كالطب واللغة والأدب وغيرها، ولغرض فهم هذه الدراسة المتعلقة بهذا البحث بشكل أوسع من حيث كمية المادة العلمية المعطاة في العصر المملوكي في مصر يجب التطرق ولو بشكل مختصر إلى العلوم المتنوعة التي كانت قائمة في ذلك العصر، لأن تنوع العلوم يعطي دلالة على ثقافة المجتمع وقدرة الفرد في المجتمع على فهم المنهج النبوي الصحيح لبناء حياة أفضل.

علم الطب

حاز الأطباء على ثقة واهتمام السلاطين والأمراء المماليك في مصر، فكان الأطباء يجلسون على ابواب الخلفاء والسلاطين ينتظرون الأمر لعلاج من يمرض منهم من أهل القصر، فيكتب الطبيب لهم دستوراً ليصرف من خزانة الشراب، وكان المماليك مولعين بالألعاب الرياضية وممارستها، فكان الأطباء يقدمون لهم نصائح مهمة، فنهوهم عن الحركة السريعة بعد الطعام، لأن الحركة المعتدلة أقوى الأسباب في حفظ الصحة.

ومن أهم الأطباء الذين عاشوا في الدولة المملوكية وعاصرها هو الطبيب ابن النفيس (علاء الدين ابن أبي الحزم القرشي) الحكيم الفاضل العلامة في فنه، لم يكن في عصره من يضاهيه في الطب والعلاج، وهو شيخ الطب في الديار المصرية وصاحب التصانيف، وأحد من

---

[١٨٢] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الاول*، ص١٧.

انتهت اليه معرفة الطب، وهو طبيب فقيه أصولي محدث نحوي منطقي، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد[١٨٣].

وكان في العصر المملوكي تنظيم اداري للمنشآت والمؤسسات الطبية والصحية، وهذا التنظيم الاداري قد ساهم بشكل فعال في نجاح سير العملية الصحية، فمن المؤسسات الطبية المهمة هي رئاسة الطب، وإدارة البيمارستانات، وإدارة الحمامات، وكان الدور الرقابي والإشرافي للدولة المملوكية على ما يتعلق بالصحة غاية في الاهمية من خلال نظام دقيق يعرف باسم الحسبة، والحسبة نظام اسلامي قديم عرفه المسلمون منذ العصور الأولى وتطور تطوراً كبيراً في العصر المملوكي، فكان دور المحتسبين الرقابي والإشرافي على أصحاب المهن الطبية والمهن الصحية وغيرها، فمنها[١٨٤]:

- الرقابة على الأطباء.
- الرقابة والاشراف على الفصادين والحجامين.
- الإشراف على البياطرة.
- الإشراف على الصيادلة.
- الإشراف على الشرابين الذين يقومون بصناعة وتركيب الادوية السائلة.
- الإشراف على القائمين الذين يقومون بتوزيع ماء الشرب.
- والرقابة على الخبازين لمنع اضافة اي مواد غريبة إلى العجين بغرض زيادة وزنه.
- الرقابة على البقالين.
- الرقابة والاشراف على الجزارين والقصابين.
- الرقابة على الشوائين.

وقد تطورت المدارس خلال العصر المملوكي فبعد أن كانت مخصصة في المقام الأول لدراسة العلوم الشرعية ولنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، أضيفت إلى الدراسة علوماً أخرى مثل الطب والنحو والفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم الطبيعية[١٨٥]، ثم بعد ذلك جاءت المدارس الطبية لتمثل قمة التطور في التعليم الطبي، فبدأ السلاطين والحكام والأمراء

---

[١٨٣] هويشل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر*، ص١٠٢.
[١٨٤] هويشل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر*، ص٢٠٤.
[١٨٥] هويشل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر*، ص٧٧.

يساهمون في إنشاء المدارس الطبية في القرنين الخامس والسادس الهجريين وانتشرت بشكل واسع في مختلف المدن الإسلامية[١٨٦].

علم التاريخ

حظي علم التاريخ كغيره من العلوم بالاهتمام في دولة المماليك، وتتجلى مظاهر الاهتمام بالتاريخ بشكل عام بظهور عدد من المؤرخين الذين تولوا مهمة التدوين للأحداث التاريخية للدولة المملوكية بشكل مجمل، أو تدوين الاحداث المفصلة لبعض أجزاء الدولة المملوكية، أو كتابة سير السلاطين وتخليد ذكراهم، والسبب وراء هذا الاهتمام بعلم التاريخ هو ما استجد من احداث هامة أثرت في الدولة المملوكية، وتعدد أساليب الكتابة عند المؤرخين فمنهم من اعتمد على أسلوب الحوليات، وبعضهم اعتمد على اسلوب التراجم، أو كتابة سيرة لسلطان من السلاطين[١٨٧].

اهتم علماء العصر المملوكي بالتاريخ، فقد اتجهوا اولاً إلى المؤلفات التاريخية السابقة وعملوا على اختصارها، فقد اختصر أبو شامة المقدسي "تاريخ دمشق" لابن عساكر مرتين، الأولى في خمسة عشر مجلداً، والثانية في خمس مجلدات، واختصر الذهبي "تاريخ نيسابور"، وأما إبداعهم في مجال التأليف التاريخي فزاخر وتنوعت مناهجهم فيه، فمنهم من ألف في التاريخ الإسلامي ومنهم من اتجه إلى التاريخ العام، والمؤلفات في هذا الصدد كثيرة[١٨٨].

علم الفلسفة والمنطق

يبدو أن الفلسفة من العلوم التي لم يكن مرغوباً بها في العصر المملوكي، فهذا ابن خلدون يعقد فصلا في مقدمته: "في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها"، وذلك لان شررها في الدين كثير، كما ينظر إلى أصحاب هذا العلم والمشتغلين به نظرة فيها شك والطعن في الدين أحياناً، وأما المنطق فقد شرحت بعض الكتب والمسائل السابقة فيه، وألفت بعض الكتب الجديدة في هذا المجال، ومن أشهر الكتب: "الشفاء" لابن سينا، وهو كتاب استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة

---

[١٨٦] هويشل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر*، ص٧٦.
[١٨٧] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٢٢٠.
[١٨٨] العطاري، *حركة التأليف العلمي في مصر*، ص٨٥.

كلها، وكتاب: "المدخل إلى علم المنطق والطبيعي والإلهي" ليعقوب بن غنائم، وغيرها من الكتب[١٨٩].

[١٨٩] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص٩٧.

العلوم الدينية

غلب على العصر المملوكي التعليمي الديني، فاهتم العلماء بحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكثرت حولهما مؤلفات عديدة في التفسير والشروح، منها المختصر ومنها المطول،

ومن العلوم الدينية المهمة هو علم القراءات، فقد اهتم علماء القراءات بمؤلفين كان لهما أثر في توجيه حركة التأليف في علم القراءات، الاول هو كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، والثاني القصيدة المعروفة بالشاطبية والتي هي من نظم القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الشاطبي، وعنوانها: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للسبع المثاني، والكلام في هذا الصدد كثير[١٩٠]، ويشترط بمدرس علم القراءات أن يكون حافظاً للقرآن الكريم وطرق القراءات السبع، وأن يكون متقناً للنحو والقواعد العربية.

وعلم التفسير، فقد حظي تفسير القرآن في العصر المملوكي الأول باهتمام العلماء، فقد خلف لنا هذا العصر ما يزيد عن خمسين تفسيراً للقرآن الكريم بأكمله، ومنهم على سبيل المثال: سبط ابن الجوزي، وعز الدين بن عبد السلام، وعبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، والقرطبي محمد بن احمد بن أبي بكر، وغيرهم كثير[١٩١].

وعلوم الحديث، فقد كان حفظ الأحاديث ودراستها وشرحها من العلوم الأساسية التي يتلقاها كل طالب علم، وقد اختلفت طرق رواية الاحاديث وتلقيها من السماع بلفظ الشيخ إلى الإجازة إلى القراءة على الشيخ إلى المكاتبة إلى الواجدة...وهكذا، وكتب الحديث التي ألفت في هذا العصر كثيرة، واختلفت مناهج العلماء في تأليفها. ولسنا في صدد يحتاج إلى شرح كل من المصطلحات السابقة، ولكن ذكرناها للاستبيان فقط[١٩٢].

---

[١٩٠] العطاري، حركة *التأليف العلمي* في مصر، ص٤٩.
[١٩١] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص٥٣.
[١٩٢] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص٥٩.

وعلم الفقه وأصوله، وهو من العلوم التي تدرس في كل مركز من مراكز العلوم في العصر المملوكي، وكان الكثير من المراكز يدرس الفقه على المذاهب الأربعة، وكان بعضها مختص بمذهب واحد، فقد نتج عن ذلك الكثير من الكتب والمؤلفات في هذا العلم[١٩٣].

علوم اللغة العربية والأدب

اهتم علماء هذا العصر باللغة وعلومها اهتماما شديدا واضحا وخاصة بالنحو، فلا يخلو عالم أو فقيه من الاشتغال به إلا نادرا، فبلغ اهتمامهم حفظ المتون لا سيما المختصرات منه،. ومن الواضح أن عنايتهم باللغة وعلومها لازمة لخدمة الدين الإسلامي من قرآن وحديث وتفسير، وهذا طابع تعليمهم في عصرهم، لذلك يصعب علينا أن نصف هؤلاء العلماء بالتخصص في علم ما، إلا من باب التغليب الذي برز في بعض مؤلفاتهم التي نالت شهرة وتداولت بين أيدي القراء والدارسين[١٩٤].

لم يخل العصر المملوكي من الشعراء، إلا أن شعرهم أصيب بالضعف الموضوعي وقلة الابتكار، والإيغال في العامية، والإسراف في التنميق اللفظي، وكان لهذا الضعف دوافعه، أهمها ميل السلاطين إلى العامي، ونفورهم من الفصيح، لأنهم أعاجم لا يدركون معانيه، حيث كان بعضهم لا يجيد العربية، بل كانوا يتعثرون في النطق بها، وكذلك أحس الشعراء بنوع من الغربة في عقر دارهم لمتناقضات الأوضاع ومرارة الصراع بين الوجود العربي الإسلامي، والقوى الخارجية من صليبيين وتتار، وغير ذلك من السلبيات التي سيطرت على الناس، فإنصرفوا عن الشعر الجاد الجيد، وعملوا على كسب معيشتهم من حرف وصناعات، فقد حظيت مؤلفات النحويين اهتمام العلماء في العصر المملوكي، وكان النحو من العلوم الثقافية العامة التي يحتاجها العلماء في كل التخصصات، بالإضافة إلى ضرورية لدرس القرآن الكريم وفهمه، ومن أشهر الكتب التي اهتم بها علماء العصر شرحاً واختصاراً: "الكتاب" لسيبويه، وكتاب "الإيضاح" للفارسي، و"كتاب المع" لابن جني، وغيرها من الكتب كثيرة[١٩٥].

---

[١٩٣] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص٦٧.
[١٩٤] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٢٠٦.
[١٩٥] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص٧٧.

العلوم الطبيعية والرياضية

اقترن علم الحساب من هذه العلوم خاصة بعلم الفرائض أو علم الميراث، فكثير ممن برع في الفقه برع في الحساب، فهذا شمس الدين الكلاعي الفرضي اشتغل الناس عليه في الفرائض الحساب، وهذا ناصر الدين بن العتال الحنفي برع في الفقه والحساب، وهذا صفي الدين الحنبلي كان علامة في الفرائض والحساب والجبر، والمؤلفات في هذا الصدد كثيرة منها: "اللباب في الحساب" لشمس الدين ابن الأكفاني، وكتاب "مقدمة في الحساب" لمهذب محمد بن محمد الحلبي الحاسب، ومن العلوم الرياضية التي عرفت في ذلك الوقت علوم الجبر والمقابلة، وكذلك علم الهندسة، وعلم المساحة[١٩٦].

علوم مختلفة

الموسيقى، وجد من رجال العصر المملوكي الأول من عرف الموسيقى واشتغل بها، مثلاً: الأمير شهاب الدين بن جلدك الذي كان عارفاً بصنعة الألحان وعلم الموسيقى، وشمس الدين بن الجوخي الذي كان عارفاً بالموسيقى ويعلم أهل الوعظ الألحان، ويبدو أن هذا الفن كان لخدمة طائفة الصوفية التي نشطت نشاطاً ملحوظاً في هذا العصر.

وكذلك علم تفسير الرؤيا أو المنامات، فمنهم أيدمر السنائي الذي كان له معرفة بتعبير الرؤيا، وشمس الدين المزي كان إليه المنتهى في تفسير المنامات، وشهاب الدين المقدسي النابلسي مفسر المنامات وله في ذلك مقدمة سماها "البدر المنير"، وابن شيخ العوينة علي بن الحسين وله كتاب "عرف العبير في عرف التعبير".

وكذلك عرف علم "حل المترجم والألغاز" ولهم فيها تصانيف، وممن برع في هذا العفيف الدين النحوي وله تصانيف، ومنهم غرس الدين الأربلي ومن نظمه: "الألفية في الألغاز المخفية"، وغيرها كثير، ويبدو أن هذا النوع من المعارف كان من الادب الفكاهي والهزلي[١٩٧].

---

[١٩٦] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص١٠٢.
[١٩٧] العطاري، حركة *التأليف العلمي في مصر*، ص١٠٥.

٣.٢. التربية الإسلامية في عهد المماليك

لقد تم التطرق في المبحث الثالث (التربية الإسلامية في عهد الأيوبيين في مصر) إلى تعريف التربية الإسلامية، وكذلك تم ذكر مفهوم التربية الإسلامية، وأهمية التربية الإسلامية، وسمات التربية الإسلامية، فلا داعي لتكرار ما تم ذكره سابقاً، والغاية الرئيسية من كتابة هذا الفصل هو ثلاثة عناصر مهمة لجوهرة مفهوم التربية الإسلامية الذي كان قائماً في دولة المماليك في مصر، وهذه العناصر الثلاثة هي: أولاً المفهوم التربوي في زمن دولة المماليك، ثانياً: إدارة العملية التربوية التعليمية في هذه الدولة، وثالثاً مراكز التعليم في تلك الدولة.

٢ . ٣. ١. الفكر التربوي في دولة المماليك

شهد القرن السابع الهجري في دولة المماليك ظهور عدد من المفكرين الذين أسهموا في تشكيل ملامح الفكر التربوي خلال حقبة الدراسة، ومن أبرز آراء هؤلاء المفكرين هو الفكر التربوي عند ابن تيمية، وهو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جعل ابن تيميه العلم النافع أساس الحياة الراشدة الفاضلة، وجعل العمل بهذا العلم هو الذي يقيم هذه الحياة، ويمنحها البقاء والاستمرار، ومن كان طلب العلم عبادة ومعرفته وخشيته والبحث عنه جهاد، ويقوم العلم النافع عند ابن تيميه على أسس ودعائم أبرزها:

- التربية والتوحيد: ويعني أن الله هو وحده الجدير بالمحبة والطاعة والانقياد.
- التربية والإنسان الموحد: جعل الله في تكوين الإنسان الحاجة إلى عبادته، دون شريك، كحاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وجعل الإيمان به مصدر قوة الإنسان وسعادته، والإنسان لا يشهد هذه الفطرة وحده، ولا يستطيع أن يتصرف طبقًا لقوانينها بدون تعليم وتربية.
- التربية وعبادة التوحيد: حدد ابن تيميه معنى العبادة بالطاعة والانقياد لله تعإلى، فهو يرى العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ورضاه من الأقوال والمعتقدات والأفعال والاتجاهات، وبهذا المعنى يجعل العبادة التي خلق الله من أجلها

الخلق ويبعث لهم الرسل وينزل الكتب، وبذلك تكون الهدف الذي يجب أن تسعى إليه التربية الإسلامية[١٩٨].

ويذكر ابن تيميه بأن للتربية أهدافًا رئيسة تقوم بها هي:

- تربية الفرد المسلم، بحيث يكون هم المتعلم فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه.
- إخراج الأمة المسلمة على أساس بناء شبكة من الروابط بين أفراد الأمة المسلمة طبقًا للصورة التي حددها القرآن والسنة للمجتمع المسلم، فما تعلمه المسلمون اقتصر على مشاعر الفرد وثقافته، دون أن ينعكس على باقي سلوكه مع الآخرين، فدب الخلاف والشقاق والكراهية بينهم.
- الدعوة للإسلام في العالم، فالمقصود أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا[١٩٩].

ويذكر ابن تيميه آدابًا عامة للعالم المعلم، فيجب أن يكون قدوة للتلاميذ في الصدق والالتزام والأخلاق والقيم الإسلامية، ويجب أن ينشر المعلمون علمهم بدون إهمال أو تهاون ،وأن يتعهدوا علومهم بالحفظ والزيادة وعدم النسيان، أما المتعلم، فيحدد ابن تيميه له، مجموعة من الآداب، منه أن يحسن نيته في التعليم، وأن يعرف حرمة أستاذه، ويشكر إحسانه إليه، وأن يتقبل كل علم مهما كان مصدره، وأن لا يعتقد أن العلم الصحيح والإرشاد مقتصر على جماعته، ومن الأمور المهمة التي لا بد من ذكرها عند الحديث عن فكر ابن تيميه التربوي، دعوته أهل العلم إلى تبليغ العلم ونشره وأن لا يضيعوا شيئًا منه، لأن ضرر كتمانه عظيم[٢٠٠].

وكذلك الفكر التربوي عند ابن جماعة، وهو شيخ الاسلام الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ، نشأ في بيت علم وزهد درس في دمشق والقاهرة، كان عارفًا بالتفسير والفقه وأصوله، عمل خطيبًا في المسجد الأقصى بالقدس، والمسجد الأموي بدمشق، والجامع الأزهر بالقاهرة، عمل قاضيًا بالقدس ثم بالديار المصرية من أبرز مؤلفاته،

---

[١٩٨] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، *الفتاوى، الفقه* ، مجلد ٢٢، د.ن، الرياض،1961 م، ص٤٤٧.

[١٩٩] ابن تيمية، *الفتاوى، علم السلوك*، ج10 ، ص19 .

[٢٠٠] ابن تيمية، *الفتاوى*، مجمل اعتقاد السلف، ج ٣، ص8 .

تذكرة السامع، غرر التبيان في تفسير القرآن. وأكد ابن جماعة على أهمية التربية والتعليم والتعلم والعلماء، فقد تحدث في هذا المجال في عدة أمور وهي:

آداب الطالب في نفسه، ذكر ابن جماعة، مجموعة من الصفات والآداب التي تتعلق بآداب الطالب في نفسه، وأهمها:

- تطهير قلبه من خبث الصفات، ويقصد بها تطهير الطالب قلبه من كل غش ودنس وحسد وغل، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه، فلا يصلح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بالطهارة من خبث الصفات وخبث مساوئ الأخلاق ورديئها.
- إخلاص النية في طلب العلم :فقد شدد على المتعلم أن يخلص النية في طلب العلم، وأن يقصد وجه الله تعإلى، والعمل به، وإحياء الشريعة وتنوير قلبه، وعلى المتعلم ألا يقصد بالعلم الأغراض الدنيوية من تحصيل الدراسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصدير الناس له في المجالس ونحو ذلك، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.
- المبادرة إلى تحصيل العلم في أوقات الشباب، يجب على المتعلم أن يبادر في شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، فإن كل ساعة تمضي لا يأتي بديل لها.
- أن يقنع المتعلم بما يتوافر له و إن كان يسيرا، ويشمل ذلك اللباس ومصادر المعيشة، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال، فتتفجر فيه ينابيع الحكم، ويقوى على تحمل المشاق.
- آداب الطالب مع المعلم، يذكر ابن جماعة أن الطالب يجب أن يختار المعلم الذي اكتملت أهليته، وتحققت شفقته وظهرت مروءته، وبعدها يجب على الطالب أن ينقاد لشيخه، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، ويشاوره فيما يقصده ويتحرى رضاه، فيما يعتمده، ويبالغ في خدمته، ويتقرب إلى الله تعإلى بخدمته، وأن يعلم أن الذله للشيخ عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعه، وعلى المتعلم أن ينظر إلى شيخه بعين الإجلال، ويعتقد فيه درجة الكمال فإن ذلك أقرب إلى نفعه به، وينبغي للطالب أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق، ويجب أن لا يمنعه ذلك من ملازمة شيخه، وعلى الطالب أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان، وأن يتواضع بين يديه، وأن يتلطف في السؤال والجواب، وفي تحديده للمنهاج وطريقة التدريس، يرى

ابن جماعة أن يبدأ الطالب في كتاب الله، فيتقنه حفظًا وتفسيرًا، وسائر علومه، فهو أصل العلوم وأمها، ثم يحفظ من كل فن مختصرًا يجمع فيه بين طرفيه من الحديث وعلومه والأصولين، والنحو والتصريف، ثم يعرض ما درسه على المشايخ، حتى يتعرف على مدى فهمه لما قرأه، ويحذر الطالب من البدء في الاشتغال في الاختلاف بين العلماء أو بين الناس في العقليات والسمعيات، ثم يصحح ما يقرؤه قبل حفظه تصحيحًا متقنًا[٢٠١].

آداب المعلم، يقسم ابن جماعة آداب المعلم إلى قسمين هي:

القسم الأول: آداب المعلم في نفسه، و هذه الآداب تشمل على خصائص أخلاقية تتمثل بالتحلي بالوقار والخشوع، والتواضع، والزهد في الدنيا، وخصائص دينية تتمثل بالمحافظة على القيام بشعائر الإسلام، ومعاملة الناس بمكارم الأخلاق وصيانة الباطن والظاهر، وإضافة إلى هذه الآداب فعلى المعلم، واجب التحصيل المستمر والمحافظة على القراءة والمطالعة والتفكر.

القسم الثاني: آداب المعلم مع طلابه: يحدد ابن جماعة جملة من الآداب، منها أن يكون القصد نشر العلم وإحياء علوم الشرع، والترغيب في العلم، واحترام شخصية الطالب عندما يخطئ أو ينسى عمله، والتسهيل على الطالب المجد، والتفهيم على قدر ذهن الطالب، ومعاملة الطلاب بالتساوي، ومساعدة الطلاب ماديًا ومعنويًا إذا اقتدر المعلم[٢٠٢].

وكذلك الفكر التربوي عند الذهبي، وهو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي في غوطة دمشق، من أسرة تركمانية الأصل سنة ١٢٧٤م، وتلقى التعليم في دمشق، انتقل بعد ذلك إلى طلب العلم في عدة رحلات شملت بلاد الشام ومصر، يعد الفكر التربوي عند الذهبي تطوراً كبيراً من حيث الأمور التي تناولها والتي اختلفت بشكل كبير عن الأمور التي بحثها العلماء في

---

[٢٠١] ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن الجماعة، *تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم*، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٣م، ص5 .

[٢٠٢] ابن جماعة، *تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم*، ص ٢٠.

باقي العصور، وقد وضح الذهبي آراءه التربوية، التي امتازت عن غيرها بكونها آراء نقدية لمختلف العلوم وطلابها، والمذاهب .حيث بنى نقده التربوي على أربعة أسس وهي:

- التأكيد على مبدأ وجوب التعليم ونشر العلم، فقد جعل الذهبي ترك العمل بالعلم كبيرة من الكبائر، بل وجعل كتمانه كبيرة من الكبائر.
- مبدأ الإخلاص في التعليم وطلب العلم، ويقصد بالإخلاص في التعليم أن يكون خالصًا لإرضاء الله وفهم ونشر ما يرضاه لنا الحق والشرع، فإن كان من الكبائر جعل هدف التعلم والتعليم للدنيا، مثل كسب مال أو جاه، فإن إخلاص العلم لله من أوجب الواجبات، ويعتبر أول مبدأ تربوي وأهم معيار تقوم على ضوئه أوضاع العلوم وطلابها وعلمائها.
- العمل بالعلم، يذكر الذهبي أن نفع العلم لا يتم إلا عند العمل به، والإخلاص فيه وبذلك لا يقع العالم في إثم طلب العلم لغرض دنيوي.
- الأمانة العلمية والحياد والصدق، أن يكون ناقل العلم أمينًا على ما ينقل بعيدًا عن التحريف والتبديل، ويعتبر الذهبي عدم الأمانة العلمية من الكبائر التي توجب النار، ويتفق الذهبي في هذه المبادئ مع غيره من العلماء المسلمين والمفكرين الذين سبقوه[٢٠٣].

وكذلك الفكر التربوي عند تاج الدين عبد الوهاب السبكي، بدء السبكي حديثه عن تصوره لما يجب أن تكون عليه طريقة التدريس، حيث ذكر أن على المعلم مراعاة التدرج في التعليم، فلا يلقي على الطلاب ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، ثم ينتقل بهم إلى حل مشكلات الفقه، وتحدث السبكي عن المدارس الموقوفة، فهو يرى أن على المدرس مراعاة شروط وقفها، إذا كانت موقوفة على مذهب معين، ويرى أن المدرسة الموقوفة يجب أن يدرس فيها الفقه،" فإن كان هذا المدرس لا يلقي الفقه فهو آكل حرام، ويدعو السبكي إلى الالتزام بما شرطه الواقف بخصوص المدرسة، ويحدد السبكي للطلاب مهام محددة، منها المواظبة إلا بعذر شرعي، والابتعاد عن اللغو في الكلام، وأن يصغوا إلى المدرس،

---

[٢٠٣] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تح شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٤٦.

وأن عدم التزامهم بذلك يجعلهم لا يستحقون شيئًا من المعلوم، ويحدد السبكي مهام المعلمين وواجباتهم، وأولها إرشاد المتعلمين، ونصحهم، وإظهار العلم للسائلين، وعدم كتمانه، ويجب على العلماء الإيمان بالله، وأن لا يضيعوا الكثير من وقتهم في طلب المناصب[٢٠٤].

وكذلك الفكر التربوي عند ابن خلدون، تدور آراء ابن خلدون التربوية في فلك الفلسفة العامة للتاريخ والعمران، فالعلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، وأن الفكر هو الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، وعن طريق الفكر يهتدي الإنسان إلى معاشه، وإلى الاجتماع والتعاون مع بني جنسه نظر ابن خلدون إلى وظائف العلم وفضله، على خلاف بقية الفقهاء، الذين أصبغوا على التعليم صفه دينية، كظاهرة طبيعية في المجتمع الإنساني له وظائفه على صعيد الأفراد والجماعات، وله أيضًا نتائجه على صعيد العمران البشري[٢٠٥]، ومنها:

- دور العلم على صعيد الأفراد: نظر ابن خلدون إلى العلم كصناعة قائمة بذاتها، لها غرض اقتصادي معيشي وفكري إنساني، ولذلك يفصل ابن خلدون بين العلم والتعليم، فالعلم كأي صناعة إذا برع به المرء يكسب صاحبه عقلاً فريدًا، ومتى اكتسبه أصبحت لديه ملكة قل أن يجيد ملكه أخرى مثلها، وبسبب موقف ابن خلدون من العلوم والصنائع وأصنافها، فإنه يرى أن بعض العلوم وليس كلها قابلة لأن تكسب صاحبها العقل الفريد، فإن العلوم التي هي الآلات لغيرها كالعربية والحساب للعلوم الشرعية، والمنطق للعلوم الفلسفية فإن كثرة الاشتغال بها يخرجها عن المقصود، وبهذه الإشارة أعطى ابن خلدون العلم والتعليم الدور الوظيفي الذي يؤديه على مستوى الأفراد، انسجاما مع منطلقاته وفلسفته القائمة على الطبيعة التي فطر عليها البشر والتي تحثه على البحث عن القوت، والصنائع هي أوسع أبوابها.

---

[٢٠٤] السبكي، تاج الدين عبد الوهاب السبكي ، *معيد النعم ومبيد النقم*، تح محمد علي النجار وأبو زيد شلبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٦.

[٢٠٥] ابن خلدون، عبد الرحمن بن الحسن ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م، ص ٣٨٠.

- الوظيفة الحضارية الاجتماعية العمرانية للعلم[٢٠٦]، يرى ابن خلدون أن عمران الأرض والتطور الحضاري، يقضي بتطور الصناعات، ولما كانت العلاقة وثيقة بين العلم والصناعة من جانب وبين العمران والحضارة من جانب آخر، فإن ذلك يقضي بازدهار العلوم، وقد حاول ابن خلدون أن يوفق بين العقل والنقل، وبين الفلسفة والشريعة، فقرر – متأثرًا في الشرع – بوجود عدة عوالم، لكل عالم طبيعته وخصائصه، ويقسمه إلى مراتب من العقول لكل مرتبة مجالها وحدوده.

- الوظيفة الدينية للعلم، أعطى ابن خلدون للعلوم الشرعية أهمية كبرى، وقدمها على سائر العلوم، وذكر أن العلوم الشرعية جميعها نقلية، وحتى القياسي منها وأصلها مستمد من القرآن الكريم والسنة، وأما الوظيفة العقلية والتي اعتبرها عقلية فلسفية، فيهتدي اليها الانسان بفكرة ولها وظائفها وحدودها[٢٠٧].

يتحدث ابن خلدون عن آداب وشروط المعلم والمتعلم، أما بخصوص طالب العلم، فقد أوجب عليه تلقي العلم مباشرة من أصحابه وقدم تصوره عن التعليم في عصره، فهو كما يقول تارة تعلمًا وإلقاءً، وأخرى محاكاة وتلقينًا بالمباشرة، ويرى أن الطريقة الثانية أكثر رسوخًا له وأشد استحكامًا، ولما كانت الملكات المكتسبة في نظره كلها جسمانية، لذا كان لتعلم كل علم صناعة بحاجة إلى مشاهير الأئمة فيها، ويجب على الطالب عدم الغوص بعيدًا في التجريد والتعميم فأكثر أخطاء العلماء بسبب غوصهم في المعاني وتحريرها من محسوساتها، وعليه يجب التمييز بين الأحكام الشرعية والأحكام العقلية، وعلى طالب العلم أن لا يفارق نظره المواد المحسوسة للتأكد منها قبل أن يرسخ حكمه عليه[٢٠٨].

أما المعلم، فإن عليه الإحاطة بطرق ومبادئ وقوانين التعليم، والوقوف على مسائلها واستنباط مفرداتها ويرى ابن خلدون وجوب قيام الجدل والحوار بين المعلم والمتعلم، واختيار

---

[٢٠٦] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ص ٤٠٦.
[٢٠٧] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ص ٤٥٥.
[٢٠٨] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ص ٤٢٥.

الأنسب للمتعلم من الفن الواحد، ومحاولة تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها، ومراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم[٢٠٩].

أما المنهج التعليمي والتربوي عند ابن خلدون، فإنه يقوم على التدرج والتكرار بما يناسب الطالب والموضوع معاً، فيجب أن يتدرج المعلم مع الطالب، بتلقينه مسائل من كل باب هي أصول ذلك الباب، دون أن يدخل معه في التفصيل، مراعيًا قدرته و قابليته على فهم ما يلقى عليه، ثم يدخل في بعض التفاصيل لدراسة جزئيات الموضوع الأكثر ارتباطًا به، وبعدها يبتعد المعلم عن العموميات ويخرج عن الإجمال ومن الطرق الأخرى التي طالب فيها ابن خلدون عدم إرهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر، وذلك لمراعاة طبيعة المتعلم التي تزداد فهمًا بالتدرج، ويؤكد ابن خلدون ضرورة عدم الانتقال من فن إلى آخر قبل فهمه، وعدم الشدة مع المتعلمين ومعالجة آفة النسيان بالتتابع والتكرار، أما عن مراحل التعلم عند ابن خلدون، فقد قسمها إلى مرحلتين، المرحلة الأولى ما قبل سن الرشد ويتم فيها تعليم القرآن، والعلوم المتصلة به كعلوم الدين والفنون الأخرى كالشعر، وعلوم اللغة، وأما المرحلة الثانية فهي بعد سن الرشد، لكنه لا يذكر تفاصيل هذه المرحلة[٢١٠].

وكذلك الفكر التربوي عند الصوفية، شكلت الصوفية بأفكارها مؤسسة قائمة بذاتها في القرن السابع والثامن الهجريين، لها طريقتها ومؤسساتها التربوية، كالخوانق والأربطة والزوايا وتنتشر تعاليمها بين فئات واسعة من الناس، فكان لابد أن تؤثر وتتأثر بالحياة الفكرية والاجتماعية في فترة الدراسة، وقد كان مشايخ التصوف يتبعون في تربيتهم وتعلميهم للمريد حتى يصل إلى المراحل التي يريدونها عدة أساليب تربوية أبرزها:

- التدرج في تربية المريد بتحفيظه القرآن أو بعضه.
- قصر تلقي العلم والمعرفة للمريد على الشيخ وحده.
- غرس حب الشيخ في قلب المريد، لدرجة أنه يستطيع توجيهه إلى أية جهة يريدها، ويقوم مشايخ الصوفية بعمل الأذكار لمريديهم، فيأخذ المريد الذكر عن شيخه الذي يفترض أنه أخذه بدوره عن الرسول، إما في اليقظة أو في النوم،

---

[٢٠٩] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ص ٥٣١.
[٢١٠] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ص ٥٣٤.

وكل شيخ له ذكره الخاص به، بحيث يمنح هذا الذكر الشيخ هالة وقداسة أمام المريد.

وفي هذه المرحلة يكون المريد قابلا لتلقي أي معلومة من الشيخ وبدون نقاش حتى لو تعارضت مع العقيدة الإسلامية، ولا يستطيع كذلك أن ينكر على الشيخ ارتكابه بعض المحرمات، وعلى الرغم من عدم ظهور مفكرين صوفيين على مستوى ابن عربي في فترة الدراسة، إلا أنه ظهر العديد من العلماء الصوفيين الذين طبقوا الفكر الصوفي في المراكز التعليمية التي تسلموها[٢١١].

٢.٣.٢. تنظيم العملية التربوية في عهد المماليك في مصر

سارت العملية التربوية في العهد المماليك بشكل ناجح، فلا بد أن يكون هنالك اسباب ومخططات تم تنفيذها لسير العملية التربوية، وتم تدوين بعض المعلومات في كتب التاريخ بالنسبة لهذا العصر، ولغرض دراسة هذا الموضوع بشكل مفهوم سوف نتطرق إلى المواضيع التالية.

١.٢.٣.٢. التنظيم الإداري في المدارس

لقد تم تاريخيا تدوين وظائف العاملين في المدارس بشكل مفصل ودقيق، وقد تعددت الوظائف في إدارة المدارس التعليمية باختلاف طبيعة كل وظيفة منها، ويمكن تقسيم الوظائف التي كانت قائمة ضمن الإدارة التعليمية إلى وظائف دينية تتعلق بالمدرسة كمؤسسة تعليمية ودينية، وإلى وظائف إدارية تقوم بالأشراف على وقف المدرسة وتحصيله والصرف على أصحاب الوظائف، ووظائف فنية التي تقوم بصيانة المدرسة، ووظائف أخرى لها مهمة الخدمات وتوفير المعيشة والنظافة داخل المدرسة، وسوف نقوم بذكر هذه الوظائف بصورة مختصرة ومبسطة كالاتي:

---

[٢١١] عبد الرحمن، عبد الخالق عبد الرحمن، *الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة*، مكتبة ابن تيميه، الكويت، ١٩٨٦م، ص٤٣.

أولاً: الوظائف الإسلامية أو الدينية

وكمثال على الوظيفة الدينية هو **شيخ المدرسة**، وكان الرئيساً على عدد من شيوخ المذاهب الأربعة، حيث يطلق عليه شيخ الشيوخ، كالشيخ علاء السيرامي، هو شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البرقوقية، وكان يقوم بتعيين شيخ المدرسة المتمثل عنه أثناء حياته، كما حدث عند تعيين صرغتمش لمشيخة مدرسته إلى الشيخ الإمام العلامة قوام الدين الإتقاني، وكذلك سنة ١٣٨٨م حين ولى الملك الظاهر برقوق سيف الدين السيرامي مشيخة مدرسته بعد موت العلامة علاء الدين السيرامي[٢١٢].

وقد اشترطت حجة وقف السلطان قايتباي لمن يقوم بوظيفة شيخ المدرسة أن يكون رجلاً من أهل العلم والدين، وأن يحضر إلى المدرسة كل يوم، وبعد كل صلاة يبدأ حلقات التصوف خمس مرات كل يوم، بالإضافة إلى عمل أضافي يوم الجمعة بعد صلاة الفجر حيث يقوم بقراءة ميعاداً من كتب الوعظ الذي يشمل الترغيب بالآخرة والزهد في الدنيا، وهذا الميعاد يشتمل على شيء من تفسير القرآن الكريم وعلى شيء من السيرة النبوية، وبعد ذلك يختم بالخواتم المعهودة، وهي قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، وقراءة الفاتحة والصلاة على البني صلى الله عليه وسلم، والدعاء للسلطان ولأولاده وذريته ومن يلوذ به من السلطان[٢١٣].

وكمثال آخر على الوظيفة الدينية، هو **الإمام**، واشتق هذا اللفظ من أمَّ، أي تقدم واصبح قدوة، وقد وضح السبكي للإمام شروطاً، حيث يجب على الإمام أن ينصح المؤتمين بالإخلاص في صلاتهم، وأن يجهر في دعائه، وأن يحسن طهارته وقراءته، وأن يحضر إلى المسجد أول الوقت، وألا يستنيب بلا عذر، وألا يجمع بين إمامة مسجدين[٢١٤]، وقد اشترط الواقفون في وقفياتهم أن يكون الإمام حنفي المذهب، وأن يكون صحيح التلفظ بالقرآن، جهوري الصوت، فصيح اللسان، وقد اشترطت حجة الوقف السلطان قايتباي أن يكون الإمام رجلاً من أهل الخير والدين، يؤم الناس في الصلوات الخمسة وصلاة التراويح في رمضان[٢١٥]، وهناك الكثير من الوثائق تؤكد بأن يكون الإمام من أهل العلم والصلاح، حافظاً لكتاب الله الكريم، داعياً إلى

---

[٢١٢] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٦٢.

[٢١٣] ابو المحاسن، يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٦٢م، الجزء ١٣، ص١٢١.

[٢١٤] السبكي، *معيد النعم*، ص١١٤.

[٢١٥] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٦٤.

الخير والدين، حسن الصوت مجيداً للتلاوة وعالماً بأحكام العبادات الشرعية، ومن أشهر أئمة المدارس، هو الحريري إمام المدرسة الصرغتمشية، والإمام القوصي إمام المدرسة الظاهرية بالقاهرة[٢١٦].

وكمثال أخر على الوظيفة الدينية هم **المؤذنين**، الذين يدعون الناس إلى الصلاة، فيجب عليهم أن يكونوا ذات معرفة بالوقت، وإبلاغ الصوت، ويؤذن عند دخول الوقت، وبمدرسة السلطان قايتباي عمل تسعة مؤذنين، اشترطت حجة الوقف أن يكونوا من الرجال وحسن الصوت، وكان العمل يقسم بينهم، واختص هؤلاء بإعلان الأذان في أوقات الصلوات الخمسة على منارة الجامع، وينشد من هم أحسنهم صوتاً في كل يوم جمعة نشيداً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعمل المؤذن على التسحير في شهر رمضان، ويكبر في أعياد[٢١٧].

شيخ الصوفية، وهي وظيفة أخرى من الوظائف الدينية، فمع ظهور الصوفية لم يكن هناك مؤسسات صوفية تعليمية، فمع التطورات التي أحدثته للصوفية أوجبت بوجود رئيس واحد لهم، وهو ما عرف بشيخ الصوفية الذي يعقد الحلقات في الخانقاه أو في زاوية من زواية المدرسة، فكان على الواقف أن يوفر النازلين بمنشأته ما يلزم لهم من مأكل وملبس، فقد قرر زين الدين بمدرسته شيخاً للصوفية، وأشترط فيه أن يكون من أهل العلم الشريف والدين، وشافعي المذهب، فيه أهلية لمشيخة التصوف، عالماً بالحديث وله سند صحيح في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكون له القابلية التدريسية، لتكون له كل يوم بعد أذان الظهر درساً خاصاً[٢١٨].

الخطيب، وهي وظيفة أخرى من الوظائف الدينية، صاحب هذه الوظيفة هو القائم على خطبة الجمعة والعيدين، وهي من أهم الوظائف في المنشأة الدينية، وقد اشترطت حجة الوقف للسلطان قايتباي أن يتولى هذه الوظيفية من هو عارفٌ بالوعظ من أهل الخير والدين، ومن

---

[٢١٦] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *أعيان العصر وأعوان النصر*، تح علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م، الجزء ٤، ص٢٥٣.

[٢١٧] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٦٦.

[٢١٨] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٧٠.

الوظائف الاخرى الدينية هي **قارئ المصحف**، وكان يشترط أن يكون حافظاً للقرآن عن ظهر قلب مع القراءة الجهرية الجيدة المرتلة بلفظ جيد ولا عجرفة فيه[٢١٩].

وهنالك وظائف أخرى دينية لا يسعنا الحديث عنها، فمنها **قارئ الحديث**، الذي يدرس ويتلو علم الحديث بطريقة الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الاحاديث، **والمادح** الذي ينشئ المديح للرسول – عليه الصلاة والسلام–، **ومفرق الربعة الشريفة** الذي يقوم بتوزيع أجزاء الربعات الشريفة على الصوفية، **وقراء الشباك** الذين يقرءون القرآن في المدارس والمدافن.

ثانياً: الوظائف الإدارية

ناظر الوقف، وهي أحدى الوظائف الإدارية التي كانت قائمة في عصر المماليك، وكان هو مراقب الأوقاف، ويُعَلم السلطان بأحوالها، وهو أعلى وظيفة إدارية بالمدرسة، وهو المسؤول الأول عن إدارة المدرسة، وكان عليه متابعة أوقاف المدرسة من عقارات وحوانيت وغيرها، وكان مسئول عن صرف رواتب الموظفين، ويوفر لوازم المدرسة من تعمير وترميم[٢٢٠]، ولقد ذكر في حوادث سنة ١٤٤٥م عندما سقطت مئذنة المدرسة الفخرية القديمة فوق الفندق المجاور لها، وقد قتل أشخاص كثيرون بسبب ذلك، استدعى السلطان ناظر المدرسة والذي كان أحد نواب الشافعية فوبخه بأقسى الكلام وألزمه دفع تكاليف عمارتها[٢٢١].

المباشرون، وهي وظيفة أخرى من الوظائف الإدارية، وهو الموظف الذي يقوم بإدارة العمل والإشراف على تنفيذه وإجراء المبيعات والمشتريات المتعلقة به، ويشترط بمن يعمل في هذه المهنة أن يكون أميناً عارفاً بصناعة الكتابة وتنظيم الحسابات وضبط المحصول من الأوقاف، ويرفع أعماله إلى ناظر الوقف لعمل ما هو جيد للمدرسة[٢٢٢].

---

[٢١٩] العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٧٤.

[٢٢٠] القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، *صبح الاعشى*، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٦م، ص٢٤٨.

[٢٢١] العيني، ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، الجزء ٥، ص٦٣٥.

[٢٢٢] النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، الجزء٣٢، ص٤٦.

والجابي، وهي أحدى الوظائف الإدارية، وهو الذي يتولى وظيفة الجباية، ومهمته استخلاص وجمع الأموال شهرياً من أموال الأوقاف، وكذلك الأموال السنوية من الأراضي الزراعية، وكان يجمع الأجور من المساكن والحوانيت والقصور والمعاصر، وكان يخليها عند الحاجة، ويشترط فيه أن يكون له القدرة القوية على استخراج الريع، وألا يترك قسطاً، وأن يراجع المباشرين والناظرين في عمله[٢٢٣].

الصيرفي، وهو الموظف الذي يقوم بأخذ حصيلة الجابي من النقود ويقوم بتوزيع المبالغ المقررة إلى أرباب الوظائف المقيمين بالمدرسة، فهو مخصص لتحصيل ريع الأراضي الموقوفة على المدرسة، ويشترط أن يكون من المشهورين بالأمانة.

وكذلك **الشاد**، وهو الموظف الذي يقوم بتولي وظيفة الشادية أو الملاحظة (بمعنى المُفَتش) وهي وظيفة لعدة نواحي منها شاد القصر والحوش والدواوين والسواقي والبيمارستانات والمراكب والأوقاف والعمائر، أما موظف الشاد للمدرسة فيتولى شيادة العمائر الموقوفة، ويجدد ويصلح ما فيها باعتباره من العارفين بأمور الهندسة وفن البناء، ويشرف على أرباب الحرف والصناعات المختلفة، ويجب أن يتحلى باللطف والرفق معهم، ويسمح لهم بالصلاة في وقتها[٢٢٤،٢٢٥].

وظيفة الشاهد، وهي أحدى الوظائف الإدارية وتتطلب حضور الشاهد مع مباشر الأوقاف عند النفقة على المستحقين ويشهد عليهم بقبض رواتبهم، ويشترط في الشاهد أن يكون على معرفة بصناعة الحسابات ونظامه وترتيبه, أن يكون ذا عدل وثقة وأن يكون أميناً مقبول الشهادة.

وأيضا وظيفة **كاتب الغيبة**، كان يسجل أسماء الغياب في مجالس العلم، لذلك يجب أن يكون أميناً وعلى قدر من الضبط ويقظاً، فقد كان الناظر يقرر كاتب الغيبة بالمدرسة ويكتب على من يغيب من الأئمة وغيرهم من الموظفين[٢٢٦].

---

٢٢٣ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٨٦.
٢٢٤ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٨٨.
٢٢٥ السبكي، *معيد النعم*، ص١٢٩.
٢٢٦ العناقرة، *المدارس في مصر*، ص٩٠

ثالثاً: الوظائف الفنية والخدمات

هذه الوظائف يمكن أن تقسم إلى قسمين، القسم الأول: هو الوظائف الفنية وتكون وقتية، والغرض منها إصلاح ما يفسد من عمارة المدرسة وصيانتها، أما القسم الثاني: فهو الوظائف الخدمية فتكون ذات صفة مستمرة والفائدة منها تسهيل عمل أرباب الموظفين في المدرسة[٢٢٧].

فمن الوظائف الفنية **المعمار**، وهو المختص بأعمال الصيانة وتفقد المباني وإصلاح ما يحتاج منها والإشراف على العمال أثناء عملية البناء والترميم، وكذلك **السباك**، الذي يقوم بصيانة وترميم مجاري المياه في المدرسة وإزالة العوائق التي تسدها، وكذلك **النجار**، الذي يقوم بصيانة السواقي المعدة لرفع المياه والتي لها أهمية في حياة المقيمين في المدرسة[٢٢٨].

وكمثال على الوظائف الخدمية هو **المزملاتي**، والذي هو المسؤول عن تسبيل المياه في أوقات يحددها الواقف في الأيام العادية أو في رمضان، فيجب أن يكون ذا بنية سليمة خالي من العاهات والأمراض وحسن الخلق ليعامل الناس برفق ويسهل لهم الشراب، ومثال أخر هو **البواب**، وهو حارس الباب ويجب أن يكون دائما قريبا من الباب ليسمع من يطرقه ويفتح للقاصدين الباب في أوقات معينة حسب جدول زمني محدد، وكان عليه حفظ المدرسة وما بها من فرش وقناديل وزيت وألات، وهنالك أمثلة أخرى على الوظائف الخدمية مثل **سواق الساقية**، وهو الذ يتولى إدارة الساقية ويقدم العلف إلى الدواب العاملة بالساقية، وكذلك **الفراشون**، الذين يقومون بعملية النظافة داخل المدرسة من كنس ورش وتنظيف الفرش وكنس بيوت الطلبة وقاعات الدراسة، **وخازن الكتب**، الذي يقوم بصيانة وترميم الكتب والمحافظة عليها، و**الرعاية الصحية** التي تهتم بصحة المدرسين والطلبة والموظفين العاملين بها[٢٢٩،٢٣٠].

---

[٢٢٧] العناقرة، المدارس في مصر، ص٩١.
[٢٢٨] عبد العاطي عبد الغني محمود، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ص٢٠٠.
[٢٢٩] ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي شمس الدين الدمشقي، نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق محمد أحمد دهمان - خالد محمد دهمان - نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص١٥٧.
[٢٣٠] العناقرة، المدارس في مصر، ص١٠١.

٢.٢.٣.٢. الأوقاف الإسلامية ودورها في العملية التربوية

كان للأوقاف في عصر المماليك أثر عظيم في استمرار الحياة العلمية وانتعاشها وسيرها في الطريق الصحيح، ولعل السر الأكبر الكامن وراء النهضة الفكرية يعود إليها حيث كانت المورد الأول لكل المؤسسات والفعاليات العلمية، وسارت دولة المماليك على المنهج نفسه ولاسيما أنها خرجت من رحم الدولة الأيوبية، ولكنها تميزت عنها بكثرة الأوقاف الموقوفة على المؤسسات والنشاطات الدينية والعلمية كما سنرى.

فلقد عرفت الأوقاف في عصر المماليكب بثلاثة أنواع[٢٣١]، النوع الأول: يعرف بالأحباس، ويترأسها دوادار السلطان، وتتألف من ديوان فيه عدة كتاب ومدبر، ويشتمل هذا النوع على أراض من أعمال مصر خصصت للقيام بمصالح المساجد والزوايا ونحوها من جهات البر، النوع الثاني: يعرف بالأوقاف الحكمية بمصر والقاهرة، ويترأسها قاضي القضاة الشافعي، ويقال لمن يلي هذا النوع ناظر الأوقاف، ويشتمل على الأوقاف المحبوسة على الحرمين، وعلى الصدقات والأسرى وأنواع القر،. ويعرف النوع الثالث بالأوقاف الأهلية، ولها ناظر خاص، وهو من أولاد الواقف، أو من ولاة السلطان، أو القاضي، ويشتمل هذا النوع على أراضٍ من أعمال مصر والشام وبلاد أخرى مقررة، وهي موقوفة لصالح الخوانق والمدارس والجوامع والترب، وقد خصص النوعان الأول والثالث من الأوقاف لبناء المؤسسات العلمية والدينية، ولذلك نالت هذه الأماكن حصة الكبيرة من الأوقاف، ومن ناحية ثانية كان للأوقاف عامة أثرها الاقتصادي المؤثر في شتى مجالات الدولة، فمن عائداتها أنفق على المؤسسات التعليمية ودور الثقافة والمشافي والمصحات[٢٣٢].

زاد الاهتمام بالمدارس بتوفير مساكن للطلبة ملحقة بها، تساعد الطلبة على التفرغ لدراساتهم، ولاسيما القادمين من مناطق بعيدة، وبنيت هذه المساكن لتكون معينة على تحصيل العلم والتفرغ له، والتجرد عن الشواغل في أوطان الأهل والأقارب وبذلك يكون ذلك العصر قد عرف ما نسميه اليوم بالمدن الجامعية، ويبدأ دور الوقف هنا من البداية، فكما يقول ابن

---

[٢٣١] محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٦٩.

[٢٣٢] المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، الخطط المقريزية، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان، ج٣، ١٩٩٢م، ص٢٩٥.

جماعة؛ إن على واقف المدارس والسكن فيها أن يكون ورعًا بعيدًا عن البدع، ويغلب ظنه أن هذا الوقف من المال الحلال، ثم على واقف سكن المدارس الالتزام بإسكان الطلاب المرتبين لسكن هذه المدرسة أو تلك، ولا يسكن من لا يحق له السكن، وقد تمتعت المساكن الدراسية بخدمات راقية تدل على رقي خدمات الأوقاف، فقد ذكر عن المدرسة الصاحبية البهائية من أجل مدارس الدنيا، وأعظم مدرسة بمصر، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاجرون لسكن في بيوتها، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكنه اثنان أو ثلاثة من طلبة العلم، وقد جعلت المساكن الدراسية وقفاً للمدرسين والمعيدين والفقهاء والطلاب والعاملين وغيرهم[٢٣٣].

وقد خصصت الأوقاف الإسلامية للمدرسين والطلبة مبالغ مالية أجريت عليهم شهرياً، بالإضافة إلى المعونات العينية، وكان لذلك الأثر الواضح في استمرار نشاط المدرسة، وكانت المعونات العينية متنوعة فمنها: الكعك واللحم والطعام المطبوخ والسكر والخبز والحلوى وغيرها.

وانتشرت الأوقاف انتشاراً عظيماً، حتى شملت أراضي كثيرة في مصر في العصر المملوكي، وقد اعتنى المماليك بها وأكثروا منها، فقد كان مؤسسو المدارس جميعهم في مصر في العصر المملوكي من السلاطين والوزراء والأمراء والنساء والأغنياء والعلماء المقتدرين، وكانت لديهم الموارد الاقتصادية الوفيرة لوقف مختلف الانواع من الاملاك والعقارات وغير ذلك، ومن جملة ما كان يوقف على المدارس عدد كبير من القرى، والضياع، والنواحي، والحمامات، والفنادق، والحوانيت، والاملاك[٢٣٤].

٣.٢.٣.٢. الهيئة التدريسية

إن سلاطين المماليك وأمراؤهم أصروا على اختيار علمائهم الذين يشرفون على التدريس في مراكز التعليم، حيث شهد العصر المملوكي تخصصاً دقيقاً في وظائف التدريس، أما الهيئة

---

[٢٣٣] ابن العماد عبد الحي أحمد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (أبو الفلاح)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق- بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٨٧.

[٢٣٤] العناقرة، المدارس في مصر في عصر المماليك، ص١٦٤.

التدريسية فتتكون من المدرس والمعيد والمفيد، وسيتم التطرق إلى هذه العناصر المهمة في عملية التربية التدريسية[٢٣٥]:

١- المدرس: فكلمة المدرس مأخوذة من درست الكتاب دراسة فتكررت الدراسة للحفظ، والمدرس يتصدر لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والنحو والصرف وغيرها، ومن شروط المدرس أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، واذا كان الطلاب مبتدئين فلا يعطيهم ما لا يفهمون من الدرس، بل يجب تدريبهم شيئاً فشيئاً، ومن الشى الغير ملائم هو أن يحفظ المدرس سطرين أو ثلاث من الكتاب ثم يجلس ليلقيها على الطلبة ثم ينصرف عنهم، ويشترط بالمدرس أن يكون على علم من العلوم الشرعية كالتفسير والحديث وغيرها، وكان اختيار المدرس على أن يكون الأعلم والأورع والأسن وفق شروط محددة وتزكية وشهادة من أصحاب الصدر[٢٣٦]، ومن الوصايا التي يجب أن يأخذها المدرس في عصره هي أن يدخل إلى درسه بطلاقة وجه، وأن يستميل طلابه جهد استطاعته، ويربيهم كما يربي الوالد ولده، ويصغي إلى أفكارهم التي يأتون بها في الدرس، ويقدم منهم من يجب تقديمه، ويعطي لكل واحد منهم منزلته، ويحثهم على كثرة الاشتغال والازدياد في التحصيل[٢٣٧]، وكان يسمح للمدرس بأن يدرس في أكثر من مدرسة، وكذلك بأن يدرس أكثر من مادة واحدة، ومن أبرز العلماء الذين مارسوا مهنة التربية والتدريس في مصر في العصر المملوكي هم: بدر الدين محمد بن جماعة مدرساً بالمدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعي، ومحمود بن علي بن إسماعيل القونوي بالمدرسة الشريفية بالقاهرة، ومحمود بن أبي بكر بن عمر المخزوني المعروف بابن الدماميني الذي درس بالعديد من المدارس في القاهرة، وغيرهم كثير[٢٣٨].

٢- المعيدون: المعيد هو الذي يعيد المحاضرة التي يلقيها المدرس على الطلاب، وهو في المرتبة الثانية بعد المدرس، وطبيعة عمله هي أن يعيد الدرس على الطلبة ليفهموه ويحسنوه، وهذه الوظيفة لم تظهر في تاريخ التعليم للمسلمين إلا بعد ظهور المدارس في القرن الحادي عشر الميلادي، ووظيفة المعيد تكون على علاقة وثيقة مع المدرس

---

٢٣٥ العناقرة، المدارس في مصر في عصر المماليك، ص٢٢٧.
٢٣٦ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٣٦
٢٣٧ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١، ص٩٧.
٢٣٨ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق جودة هلال - محمد محمود صبح - علي البجاوي، ص٤١.

وخاصة بالمدارس النظامية، وكان المعيد يصرف وقته في سبيل إفهام العاجزين بسعة صدر، ويناقشهم ويختبر مقدار فهمهم، ويوصي الطلبة بقراءة ما يفيدهم من الكتب التي تلائمهم في طلب العلم، أن يكون المعيد صبوراً على أخلاق الطلبة، وقد تفاوتت أعداد المعيدين من مدرسة إلى أخرى بحسب حجم المواد وعدد المدرسين في المدرسة[٢٣٩].

٣- المفيدون: وتطلق كلمة مفيد على الطالب عالي المعرفة (الطالب المتفوق) في الحديث، كما الحال في علم الحديث، وله القدرة على تفهيم الطالب من خلال معرفته وخبرته، وكان عليه أن يحدد الفائدة من الدرس، وهو الذي يجمع الفوائد المستخلصة من المحاضرة والتي ربما غابت عن ذهن الطالب، لذلك انتشرت مهنة الإفادة وظهر عدد من المفيدين في المدارس المملوكية في مصر، منهم: محمد بن سالم بن عبد الرحمن ابن الأعمى المفيد في مدرسة الظاهرية، وشمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني المفيد في المدرسة المعزية بمصر، والرشيد الفاروقي أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الشافعي في المدرسة الناصرية والظاهرية بالقاهرة[٢٤٠،٢٤١].

وربما يأخذنا الحديث بين أسطر التاريخ على كيفية التعيين بالنسبة للمدرس، فقد كان تعيين المدرس يتم بتوقيع سلطاني أو من يعينه نائب السلطان أو الناظر أو واقف المدرسة، فمكانة التدريسي في العصر المملوكي مكانة جليلة القدر، يخلع السلطان على صاحبها، ويكتب له توقيعاً صادراً من ديوان الإنشاء، وهذا التوقيع يختلف من مادة إلى اخرى التي سوف يقوم المدرس بتدريسها[٢٤٢].

أما بالنسبة للطلبة في عملية التربية التعليمية، فيعتبر الطلبة أساس العملية التعليمية بتعدد أشكالها، وأطلق على الطلبة في ذاك الزمان بفقهاء المدارس، ولا يوجد سن محدد لقبول الطالب بالمدرسة، ولكن يوجد بعض الشروط يجب أن تتوفر في الطالب للقبول بالنسبة لمدارس معينة، فمثلا قابلية التعليم وإتصافهم بالفطنة والذكاء، وقد أورد ابن جماعة الصفات التي يجب

---

[٢٣٩] اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي أبو محمد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية للنشر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٢٨.

[٢٤٠] ابن طولون، نقد الطالب، ص١٥٤.

[٢٤١] العناقرة، المدارس في مصر، ص٢٣٩.

[٢٤٢] العيني، عقد الجمان، ج٥، ص٢٤٢.

أن يتحلى بها طالب العلم منها: أن يكون نقي الصفات، خالص الإيمان، حسن الأخلاق، ملتزماً بتعاليم الدين الإسلامي، فيكون في طلبه للعلم مستكملاً لدينه، ويتبع شيخه أو معلمه في أموره، وينظر إلى معلمه نظرة احترام وإقرار، وأن يصبر الطالب على أي خطأ أو جفوة تصدر من معلمه[٢٤٣]، وهناك أمور أو صفات يجب أن يطبقها الطالب أثناء تواجده مع مدرسه، منها:

- ألا يدخل على مدرسه إلا بإذن.
- أن يجلس عند مدرسه جلسة الأدب.
- بجب التواضع والسكون مع المدرس.
- الإصغاء إلى المدرس والنظر إليه، ولا يلتفت من غير ضرورة أو ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو تحته.
- يجب أن يحسن كلامه قدر الإمكان، ولا يكرر السؤال ولا استفهام ما يفهمه.
- لا يسبق المدرس في شرح مسألة ما، أو جواب سؤال ما، ولا يظهر معرفته إلا إن عرض عليه المدرس ذلك.
- يجب ألا يقاطع كلام الشيخ ولا يسابقه في الكلام، بل يصبر حتى ينتهي المدرس من حديثه.
- يجب أن يكون ذهنه حاضراً، وإذا أعطاه المدرس شيئاً أخذه باليمين، وإذا أعطى الطالب للمدرس شيئاً أعطاه باليمين.

فتكون عملية تحديد عدد الطلبة من قبل ناظر المدرسة، ويترك للطلبة حرية اختيار المادة الإسلامية التي سوف يدرسونها، ويكون اختيار المادة الإسلامية تحت إشراف المدرس لما يراه مناسباً حسب مذهب الطالب[٢٤٤]، وكان طلاب المدارس المملوكية في مستوى علمي متقدم، حتى أن بعضهم أراد أن يقوم بمهنة التدريس في المدرسة نفسها كعمر بن محمد التركماني الذي أراد أن يتولى التدريس بدلاً من عبد الوهاب بن الشرف بعد ذهابه من المدرسة

---

[٢٤٣] السبكي، معيد النعم، ص١٠٥. محمد العناقرة ص٢٤٢.
[٢٤٤] ابن جماعة، تذكرة السامع، ص٨٥. محمد العناقرة، ص٢٤٤.

الأشرفية فلم يتمكن من ذلك لأنه كان شافعياً وكان المدرس حنبلياً، وهذا يدل على أن المذهب كان يتحكم بالوظيفة، حتى إن البعض تحايل بتحويل مذهبه بغية الحصول على وظيفة[٢٤٥].

أما بالنسبة للفتيات فلم تشر المصادر إلى وجود أي مدرسة تم تدرس الفتيات بها، أو إلى حلقة دراسية خاصة للفتيات في مدرسة معينة، بل يذكر أن الفتاة كانت تدرس وتلقى العلوم داخل منزلها، وأن أهل الفتاة كانوا يعطونها الدروس إلى أن تصل إلى مستوى معين، على الرغم أن مساهمة النساء كانت مذكورة حتى في إنشاء العديد من المدارس دعماً للتعليم والتربية، فقد أوصت مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل عند وفاتها ببناء المدرسة القطبية لدراسة المذهبين الشافعي والحنفي، وبنت الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي المدرسة العاشورية التي تقع بحارة زويلة بالقاهرة، وبنت الست أيدكين والتي هي زوجة الأمير سيف الدين بكجا الناصري التي أنشأت المدرسة الصغيرة عام ١٣٥٠م، وكذلك المدرسة الحجازية التي أنشئت على يد الست خوند تتر الحجازية عام ١٣٥٩م برحبة باب العيد في القاهرة، ومدرسة أم السلطان التي أنشئت على يد الست بركة خاتون أم السلطان الملك الأشرف شعبان سنة ١٣٦٩م التي تقع خارج باب زويلة على خط التبانة[٢٤٦].

٤.٢.٣.٢. أساليب التربية الإسلامية

تنوعت الأساليب وتعدد طرائق التدريس، فقط مرت بمراحل وتغيرات عديدة، ويمكن وضعها في مرحلتين، المرحلة الأولى: سادتها أساليب التلقين والحفظ والقراءة والاستظهار والكتابة، أما المرحلة الثانية: والتي هي المرحلة العليا (أي الدراسة بالمسجد والمدرسة) فقد كانت الأساليب المتخذة هي المحاضرة والسماع والحلقات والإملاء والقراءة والحوار والمناظرة والمناقشة. وتعود هذه الأساليب المتنوعة إلى طريقتين أساسيتين وهما التعليم والتعلم، حيث إن أسلوب الشرح والإلقاء والإملاء والمحاضرة تمكن المدرس من إرسال معلوماته والفكرة للطالب، أما طريقة المناظرة والمناقشة والمطارحة والسؤال تمكن الطالب من التعلم والتفكير

---

[٢٤٥] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج٦، ص١٣٦.

[٢٤٦] إبراهيم، ناجية عبد الله، دراسات في تاريخ المرأة، مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٩٩٨م، ص١٥٥.

والاستنتاج[٢٤٧]، فقد يشهد العصر المملوكي تعدد بأساليب التدريس بتعدد العلوم، وسوف يتم التطرق لأهم الأساليب المتبعة في العصر المملوكي للتدريس ومنها:

١. أسلوب الحلقات الدراسية

فقد كانت الطرق في التدريس المتبعة تتمثل بنظام الحلقات، فقد كان المدرس يجلس في الوسط مستقبلاً القبلة على مكان بارز لجميع الحاضرين، ثم تجلس حولة التلاميذ بشكل أنصاف دوائر يغشيهم التأدب في جلستهم، ويراعى في عملية الجلوس بأن يكون المتميزين من التلاميذ قبال المدرس، والمعيدون أو الزائرون على يمينه ويساره، فبعد أن يتم الحضور يبدأ المدرس بقراءة ما تيسر له من القرآن الكريم تبركاً ومن ثم يدع لنفسه وللحضور وسائر المسلمين، مستعيذاً من الشيطان مصلياً على النبي – صلى الله عليه وسلم–[٢٤٨]، وتتضمن الحلقات أساليب التلقين، والحفظ، والشرح، والمناقشة، ويتضمن أسلوب التلقين التدرج شيئاً فشيئاً، مع التقريب وضرب الأمثلة في الشرح، فلا يترك شيء إلا وضحه وفهمه، ويعتمد التلقين على الذاكرة ومن ثم على قابلية الحفظ، وطرق الحفظ هي التكرار والفهم، ويجب على المتعلم أن يفهم الموضوع قبل كتابته، واذا أنتهى المدرس من الشرح يجب على الطالب بطرح بعض الأسئلة التي تتعلق بالموضوع[٢٤٩].

٢. طريقة الإملاء

وهذا الأسلوب من التدريس انتشر في مدارس مصر، وبعد أن شرع أبو الفضل العراقي في عقد مجالس الإملاء سنة ١٤٠٣م زاد الاهتمام بهذه الطريقة من أسلوب التدريس التي كادت أن تندثر، وعقد أبو الفضل العراقي مجالس الإملاء كل ثلاثاء فبلغت أكثر من أربعمائة مجلس، وتطورت الحركة العلمية، واستخدم الورق بالكتابة وأصبح الإملاء من أعلى مراتب التعليم، وقد يكون في المجلس أكثر من شيخ يتعاقب

---

[٢٤٧] أحمد خالد جيده، المدارس ونظام التعليم المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،١٩٩١م، ص٣٣١.

[٢٤٨] ابن جماعة، تذكرة السامع، ص٣٢.

[٢٤٩] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ص١٦٧.

الواحد تلو الأخر على الدرس، ويستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أجمل هيئة وأحسن زينة[٢٥٠].

وكان المدرس يبدأ مجلسه بالتسمية ثم يبدأ إملاءه مع مراعاة مستوى السامعين، واشتهرت كتابة الأمالي، وهي مجموعة من المحاضرات التي تلقى بطريقة الإملاء، والتي كان المدرس أو الشيخ يمليها على التلاميذ في مسجد أو مجلس أو مدرسة، وينبغي على المستملي أن يجلس على شيء مرتفع لكي يبلغ جميع الحاضرين، ويجب أن يكون ذا صوت جهوري، ويجب أن يكون أفضل الحاضرين لساناً وأوضحهم لفظاً وأجودهم أداءً، ويعود السبب الأصلي في تطبيق طريقة الإملاء هو ندرة الكتاب قبل أنتشار الطباعة والكتب[٢٥١].

---

[٢٥٠] السمعاني، عبد الكريم بن محمد السمعاني أبو سعد، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق أحمد محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، تم دمج المجلدين في ملف واحد للتسلسل (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير)، ص٢٦.

[٢٥١] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٢٨٤.

٣. طريقة المحاضرة

إن أساس هذه الطريقة هو أسلوب العرض، ويتضمن عرض المفاهيم مع الحقائق وتفسيرها، وكذلك شرح المعلومات وتبسيطها بشكل أسهل لكي يستوعبها الطالب ويدرك مفهومها، وبعد ذلك يقوم المعيد بتوضيح المعلومة التي لم تتضح للطالب، وهذا الأسلوب طبق في المدارس الكبيرة كالمدرسة الكاملية والصالحية ومدرسة الأمير جمال الدين الأستادار في القاهرة[٢٥٢]، وتعد هذه الطريقة الأكثر اتباعاً في التدريس بالمدارس، ويجب أن يكون صوت المدرس مناسباً على قدر مجلس طلبته.

٤. طريقة المناظرة

وهي من الطرق التي ساعدت على بث الروح العلمية بين علماء المسلمين، وقد سميت أيضا بالمذاكرة أو المطارحة، وقد شجع علماء المسلمين على هذه الطريقة لما لها من أثر في شحن الذهن، واستبيان الحجة، وطلاقة اللسان، والقدرة على الارتجال، وحسن التعبير، فقد كان على المدرس أن يدرب الطلبة على المناظرة والمناقشة، حيث كانت تتم بين الطلاب أنفسهم، وكانت الطريقة بأن يلقي المدرس على الطلبة الآية أو المسألة، فينخرط الطلبة بينهم القول والبحث، وبعد أن ينتهوا من المجادلة فيما بينهم، يبدأ المدرس بسماعهم ويقرر أيهم أصح في قوله، وقد تكون المناظرة بين المدرس والطالب، وكان الطالب يخالف رأي استاذه أحياناً بطريقة ملؤها الأدب والاحترام، ويشترط على المناظر أن يتحلى بدقة الحسن وقوة الملاحظة[٢٥٣].

٥. طريقة العقوبات

وهي طريقة متبعة بالنسبة للدارسين في العصر المملوكي، وكانت تطبق على الطلبة الذين يتباطئون في مستواهم العملي عن باقي الطلبة، وقد اهتم المدرسون بقضية العقاب، وهي تبدأ بالعبوس في الوقت المناسب لتقع على الطالب موقع الأدب، وتفضل أن تكون العقوبة مباشرة بعد الخطأ، وتستخدم هذه الطريقة اذا تباطأ طالب العلم عن

---

[٢٥٢] محمد علي الرجوب، الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي، حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠١١م، ص١٥٩.

[٢٥٣] العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص٢٨٦.

العلم والحفظ، وكذلك أذا أخطأ كثيراً، وقد أشار القابسي أنه يجيز العقوبة البدنية بالضرب وألا تزيد عن ثلاث[٢٥٤]، وأشار الغزالي أنه يمكن للمدرس أن يلجأ إلى العقوبة البدنية عند الضرورة القصوى، على أن لا يكثر من استعمالها، وإذا استخدمها المدرس يجب ألا يكون قاسياً بل مؤدباً رحيماً[٢٥٥]، أما ابن خلدون فيقول: إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، حيث إن إرهاق الحد بالتعليم مضر بالمتعلم، وتضيق على النفس، وتذهب نشاط النفس، وتدعو النفس على حمل الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضمير المتعلم خوفاً من العقوبة عليه، وعلمه الذي يتعلمه سوف يكون خدعة، وتكسل النفس على اكتساب الفضائل والخلق الجميل[٢٥٦].

٣.٣.٢. مراكز التعليم والتربية في عصر المماليك

١.٣.٣.٢. المدارس

كان لإنشاء المدارس في العصر المملوكي دور كبير في تطور العمارة الإسلامية، وكذلك أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية، ففي مصر عرفت المدارس منذ أواخر العصر الفاطمي، وانتشرت خلال العصر الأيوبي، وكثرت كثرة بالغة خلال سلاطين المماليك، وهذا ما أكده ابن بطوطة بقوله: وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها[٢٥٧].

---

[٢٥٤] القابسي، *الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين*، ص ٢٦٩.

[٢٥٥] الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، الطبعة الأولى، دار ابن حرم، ٢٠٠٥م، ج٣، ص٤٣.

[٢٥٦] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، ج١، ص٧٤٣.

[٢٥٧] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (أبو عبد الله)، *رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)*، أكاديمية المملكة المغربية للنشر، الرباط، ١٤١٧هـ، المجلد١، ص٢٠٣.

وكان تصميم المدارس في العصر المملوكي يمثل في الغالب أربعة إيوانات متعامدة، أكبرها إيوان المحراب، وأصغرها الإيوانان الجانبيان، ويتوسطهما صحن مكشوف به قبة، وألحق بالمدرسة مدفن للمنشئ، وسبيل يعلوها، ومكتب لتعليم الأيتام، ومساكن للطلبة والمدرسين[٢٥٨].

١. المدرسة الظاهرية

تقع هذه المدرسة في القاهرة بجانب المدرسة الصالحية، وأنشأها السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري على أنقاض قاعة الخيم والتي هي إحدى قاعات القصر الفاطمي، شرع في بنائها سنة ١٢٦١م، وكانت تضم أربعة أواوين، وتم تخصيص الإيوان القبلي لتدريس المذهب الشافعي على يد الشيخ تقي الدين بن رزين، وخصص الإيوان البحري لتدريس المذهب الحنفي على يد مجد الدين ابن العديم، وخصص الإيوان الشرقي لتدريس علم الحديث على يد الفقيه شرف الدين الدمياطي، وخصص الإيوان الغربي لتدريس القراءات السبع على يد كمال الدين المحلي، وتم العناية بهذه المدرسة عناية كبيرة، وتحتوي على مكتبة للكتب في مختلف العلوم، وتم بناء مكتب في جانب هذه المدرسة لتعليم القرآن الكريم للأيتام، وتم بناء مساكن للطلبة الأساتذة[٢٥٩].

٢. المدرسة المنصورية

تم إنشاء هذه المدرسة من قبل الملك المنصور قلاوون الصالحي الشهير بالألفي في القاهرة، وتم تدريس المذاهب الأربعة فيها، ولكل مذهب خصص مدرس وثلاثة معيدين، وتم تدريس الطب فيها، فقد سكنها ابن النفيس وصنف فيها تصانيفه المشهورة في الطب، وكذلك تم تدريس الحديث النبوي في القبة داخل المدرسة على يد أبي الحسن الهكاري، وكذلك تم تدريس تفسير القرآن الكريم، وتعد المدرسة المنصورية إحدى أروع المدارس المملوكية[٢٦٠].

٣. المدرسة القراسنقرية

---

[٢٥٨] ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تح محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، ١٩٨٤م، ج١، ص٥٥٩.

[٢٥٩] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٢٧.

[٢٦٠] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٢٩.

تقع هذه المدرسة بالقرب من خانقاه سعيد السعداء بين رحبة باب العيد وباب النصر في القاهرة، وقد أنشأها الأمير قراسنقر المنصوري بائب السلطة سنة ١٣٠٠م، وتم بناء مسجد بجوار بابها ومكتباً لتعليم القرآن الكريم للأيتام، ودرس فيها درساً للفقهاء، وقد درس فيها النقيب الأشرف، ومحمد بن جعفر القنائي، والسيد الشريف شهاب الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحسني الشافعي، وغيرهم[٢٦١].

٤. المدرسة الناصرية

تنسب هذه المدرسة إلى الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري الذي أنشأها سنة ١٢٩٤م في شارع المعز لدين الله بين القصرين شرق القبة المنصورية في القاهرة، ورتب بها دروس للمذاهب الأربعة، فقد عين للحنفية الشيخ شمس الدين السروجي، وللمالكية الشيخ زين الدين علي، وللحنابلة الشيخ شرف الدين عبد الغني الحراني، وللشافعية الشيخ ابن الوكيل، وعين لهذه المدرسة أوقافاً جارية كثيرة، وهي من أجمل المباني بالقاهرة[٢٦٢].

٥. المدرسة الطيبرسية

تم إنشاؤها على يد الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش في عهد الناصر محمد ابن قلاوون، وتقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من الجهة الغربية البحرية في القاهرة، وتم جعلها مسجداً زيادة على الجامع الأزهر، وتم تزينها بشكل مبدع مع تصاميم رخامية، وتم تذهيب سقوفها، وتم الإنفاق عليها مالاً كثيراً كي تبدو بأحسن زي وترتيب، وانتهت عمارة هذه المدرسة سنة ١٣٠٩م، وتم تدريس دروساً للفقهاء الشافعية، وتحتوي على خزانة كتب، وحوض للماء سبيلاً[٢٦٣].

٦. المدرسة الصرغتمشية

---

[٢٦١] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٠.

[٢٦٢] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك* ص١٣١.

[٢٦٣] محمد العناقرة،، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٢. المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *المقفي الكبير*، تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى الجزء ٤، ١٩٩١م، ص١٢.

تنسب هذه المدرسة إلى الأمير سيف الدين صرغتمش، وتقع هذه المدرسة بجوار جامع ابن طولون على قلعة الجبل، وبدأوا بإنشاء هذه المدرسة في رمضان سنة ١٣٥٥م، وتم أخذ أماكن عديدة وهدمت وبعد ذلك بنيت هذه المدرسة، وكانت هذه المدرسة أنيقة وعظيمة وهي من أجمل المباني، وتم تدريس علم الحديث بها، وكذلك تدريس الفقه على المذهب الحنفية، فقد خصصت لعلماء المذهب الحنفي ومنهم ركن الدين السرائي، والشيخ بدر الدين بن محمود الكلستاني، وقاضي القضاة الحنفي عبد البر بن الشحنة، والشيخ العلامة قوام الدين الإتقاني الحنفي[٢٦٤].

٧. المدرسة الظاهرية البرقوقية (المستجدة)

وهي من أول العمارة في دولة المماليك الجراكسة، وتم إنشاؤها على يد الملك الظاهر برقوق وهو أول ملوك الجراكسة، فقد حول خان الزكاة بين القصرين في القاهرة إلى هذه المدرسة سنة ١٣٨٦م، وتم ترتيب درس للصوفية كل يوم بعد العصر، وكذلك سبع دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة، وكذلك دروساً للتفسير والحديث والقراءات السبع، وتم وقف الكثير من الأوقاف الجليلة والدور وغيرها للنفقة على هذه المدرسة، ومن العلماء الذين عملوا كمدرسين في هذه المدرسة هم الشيخ فخر الدين البرماوي لتدريس علم القراءات، وصلاح الدين بن الأعمى لتدرسي فقه الحنبلي، وعلاء الدين السيرامي لتدريس فقه الحنفية، وشمس الدين الفقيه لتدريس فقه المالكي[٢٦٥].

٨. مدرسة جمال الدين الاستادار

وموقع هذه المدرسة في شارع الجمالية برحبة باب العيد في القاهرة، وتم إنشاؤها من قبل الأمير جمال الدين محمود الاستادار سنة ١٤٠٨م، وقد أنفق الاستادار مالاً كثيراً لشراء كتب قيمة ومخطوطات وعشرة مصاحف كبيرة الحجم، وفي شهر رجب سنة ١٤٠٨م تم الأنتهاء

---

[٢٦٤] محمد العناقرة،، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٣. المقريزي، *السلوك*، ج٤، ص٢٢٢.

[٢٦٥] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٥. عبد الوهاب، حسن عبد الوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة*، الطبعة الأولى، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٩٣.

من بناء هذه المدرسة بحضور الأمير الاستادار مع القضاة والأعيان، وتولى فيها مشيخة الشافعية الشيخ عصام الدين محمد بن الخوارزمي الشافعي، وقرر تدريس المذهب الحنفي على يد المدرس بدر الدين محمود بن محمد المعروف بشيخ زاده، وعمل على تدريس المذهب المالكي الشيخ شمس الدين محمد الباسطي، وفي تدريس الحنبلية الشيخ فتح الدين محمد بن نجم الدين محمد الباهلي، وفي علم التفسير الشيخ قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني، وكان يعمل بها مؤذنون وفراشون ومباشرون، وقف عليها الدور وغيرها[٢٦٦].

٩. المدرسة المؤيدية

تنسب هذه المدرسة إلى الملك المؤيد شيخ، وتقع بشارع المعز لدين الله داخل باب زويلة في القاهرة، استقر القاضي شمس الدين محمد بن الديري شيخ الشيوخ بها، وكذلك تم تدريس المذاهب الأربعة بها، ودروساً في علم الحديث، ودروساً في الطب، ودروساً للقراءات السبع[٢٦٧].

١٠. مدارس الصعيد

كما هو الحال استمرت المدارس في العصر المملوكي على محاربة المعتقد الشيعي، كما هو الحال في مدارس العصر الأيوبي، والدعوة إلى المذاهب السنية في الأماكن النامية على صعيد مصر، فكانت مدينة إسنا بصعيد مصر مشحونة بالمعتقدات الشيعية، وحين تولى الشيخ بهاء الدين القفطي قضاء إسنا سنة ١٢٩٧م، والتدريس في المدرسة العزية (الافرمية) قام بمناهضة المعتقد الشيعي ومناصرة المذهب السني. وقد تم ذكر خمس مدارس في مدينة إسنا وهي بالمدرسة الإفرنجية، والمدرسة العزية (الإفرمية)، والمدرسة الغربية، والمدرسة المجدية، ومدرسة ابن السديد[٢٦٨]، ولم يكن بناء المدارس مقتصراً على الأمراء والسلاطين فقط بل

---

[٢٦٦] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٦. المقريزي، *الخطط*، ج٣، ص٥٣٦.

[٢٦٧] محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، ص١٣٧. العيني، *عقد الجمان*، ج٥، ص١٠٧.

[٢٦٨] الأدفوي، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي، *الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد*، تح سعد محمد حسن وطه الحاجري، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٤٦. محمد العناقرة، ص١٣٨.

شاركهم في ذلك الكثير من الذين يسعون في سبيل الله، فكانت المدارس في الصعيد للعلم وتحصيل الدراسة والعبادة والدعوى[٢٦٩].

٢.٣.٣.٢. الخانقاوات الصوفية

لقد تحدثنا سابقاً عن معنى كلمة الخانقاة، فأصل الخانقاة هو الزاوية، وهي معاهد دينية أنشئت لإيواء الصوفية للعبادة والتصوف، فالخانقاة أشبه ما تكون بالمدرسة، أو قد تكون جزء من مدرسة، فهي دور للعبادة والعلم قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية في حياة المجتمع الإسلامي في العصر المملوكي في مصر، فمنها كان معاهد للمذاهب الفقهية والحديث وعلم القراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية، فإن الخانقاوات كانت لا تخل من حلقات التدريس الإسلامي.

فإن التصوف لغة مشتق من الفعل الماضي "تصوف" أي لبس الصوف، على وزن تقمص إذا لبس القميص، وأما إصطلاحاً فهو منهج مذهبي نهجته الحياة الروحية الإسلامية منذ بواكر نشأتها في صدر الإسلام، فقد كان التصوف مرآة للحياة الروحية التي يخضع فيها المسلم نفسه، ويعد فيها قلبه لمعرفة حقائق الحياة عن طريق الكشف والمجاهدة. وكان كل شيخ له حلقة درس خاصة به، وكان يستند في المسجد إلى سارية أو اسطوانة أو عامود، ولم يمنع هذا من أن يجلس بعض مدرسين الصوفية في محراب المسجد بدلاً من العمود أو الاسطوانة، وبذلك سمية بالزواية، أي يتخذ الشيخ أو المدرس زاويا في المسجد للتدريس، والواقع أن هذه الحلقات لم تكن مقصورة على علوم الدين فقط، بل كانت تدرس بها أيضا حلقات في علوم اللغة وعلوم النحو وعلوم التاريخ وغيرها من العلوم الفنية[٢٧٠].

وكما وجد في كتب التاريخ فإن الخانقاوات كانت كثيرة في العصر المملوكي في مصر، وسنتطرق إلى أهم الخانقاوات التي تم إنشاؤها في العصر المملوكي في مصر، ومنها:

---

[٢٦٩] ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تح محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢، ص٣٩٧.

[٢٧٠] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٢٨.

١. **الخانقاة البندقدارية أيدكين (زاوية الأبار)**، تم إنشاؤها على طريق المدرسة الفارقانية على يد الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري سنة ١٢٨٤م، وسمية بزاويا الآبار لوجود قبر للشيخ علاء الدين الأبار في قبة الخانقاة، وجعلت مسجداً لله تعالى، ورتب فيها الصوفية دروس للقراءات، وهي أول خانقاوات العصر المملوكي في مصر[٢٧١].

٢. **الخانقاة الجاولية سلار وسنجر**، وهي من أجمل خانقاوات القاهرة المملوكية، وكان لصاحبيها مكانة خاصة وسلطة ونفوذ، وقد تميزت بتخطيط وروعة وجمال وزخرف، وتقع على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش بين القاهرة ومصر، وأنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي سنة ١٣٢٣م[٢٧٢].

٣. **الخانقاة الجاشنكيرية بيبرس**، أقيمت هذه الخانقاة على جزء من دار الوزارة الفاطمية الكبرى، وكانت من أجمل خانقاة القاهرة وأوسعها مقداراً وأتقنها صنعة، بناها المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلى السلطة وهو أمير، وبنى بجانبها رباطاً كبيراً يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة بها قبره[٢٧٣].

٤. **الخانقاة الجمالية مغلطاى**، وتقع بالقرب من درب راشدة ويمكن الوصول اليها من رحبة باب العيد، والذي بناها هو الأمير الوزير مغلطاى الجمالي، وجعلها مدرسة وخانقاة للصوفية، وهي من أجمل مدارس القاهرة[٢٧٤].

٥. **الخانقاة القوصونية (قبة الغفير)**، وكانت هذه الخانقاة واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة المملوكية، وتقع شمال القرافة بعد قلع الجبل، أنشأها الأمير سيف الدين قوصون، وكتمل عمارتها سنة ١٣٣٥م [٢٧٥].

٦. **الخنقاة المهمندارية أحمد**، وموقع هذه الخانقاة خارج باب زويلة بين رأس حارة اليانسية وجامع المارداني، وقد بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهمندار سنة ١٣٢٤م، ودرس فيها عدد من مشايخ الصوفية بمختلف العلوم الشرعي[٢٧٦].

---

[٢٧١] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص١٥٩.
[٢٧٢] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص١٧٤.
[٢٧٣] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٢١١.
[٢٧٤] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ٢٥٨.
[٢٧٥] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٢٧٥.
[٢٧٦] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٢٤٧.

٧. **الخانقاة الناصرية (أم أنوك)**، تقع هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء، وأنشأتها الخوندة الكبرى الناصرية زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ام ولده الأمير أنوك سنة ١٣٤٨م، وجعل بها الصوفية وقراء، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة[٢٧٧].

٨. **الخانقاة الدودارية يونس**، وهي من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر، والتي أنشأتها هي الست عائشة اليونسية نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفي الدوادار الكبير، وخصص لها أوقاف كثيرة للنفقة عليها[٢٧٨].

٩. **الخانقاة الشيخونية**، وهي من أهم خانقاوات المماليك البحرية في القاهرة وقد أنشأة سنة ١٣٥٥م، وتقع على خط الصليبية خارج القاهرة الفاطمية تجاه جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري الناصري، وكانت من جملة قطائع ابن طولون[٢٧٩].

١٠. **الخانقاة النظامية**، وتقع هذه الخانقاة خلف القلعة على مرتفع من الناحية الشمالية حتى برج الصحراء وحدوده الغربية خلف قصور الحريم (المتحف الحربي حالياً)، ويحيط بها بقايا سور القاهرة الشرقي المتصل بها من خلفها، وهو سور من الدبش، وأنشأة على يد الناصر حسن بن الناصر محمد قلاوون وهو شيخ الشيوخ نظام الدين الأصبهاني الحنفي، وهو الذي قدم إلى القاهرة بعد أن برع في عدة علوم وصار معدوداً من الفضلاء[٢٨٠].

ويوجد أيضاً عدد من الخانقاوات التي أنشأة في عصر المماليك البرجية، ومنها الخانقاة الظاهرية (برقوق)، والخانقاة السعدية (إبن غراب)، والخانقاة الناصرية (فرج)، والخانقاة الجوهرية (اللالا)، والخانقاة الأشرفية (برسباي) بالقرافة، والخانقاة الزينية (يحيى)، والخانقاة الأشرفية (إينال)، والخانقاة الاشرفية (قايتباي) بالقرافة، والخانقاة الرماحية (قايتباي) بالقلعة، والخانقاة الغورية (قانصوة) بالغورية، والخانقاة القرقماسية (أمير كبير) بالقرافة [٢٨١].

---

[٢٧٧] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٢٩١
[٢٧٨] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٣٠٧
[٢٧٩] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٣١٥
[٢٨٠] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٣٦٨
[٢٨١] رزق، *خانقاوات الصوفية*، ص٤٨٢

٣. مقارنة التربية الإسلامية بين العهدين الأيوبي والمملوكي

من خلال دراستي لهذا الموضوع تم التعرف على ثلاثة أسس مهمة التي قامت عليها التربية والتعليم الإسلامي في الدولة الأيوبية وهي الفكر التربوي الذي كان موجوداً أو تأثرت به الدولة الأيوبية، ونظام التعليمي التربوي في المؤسسات التربوية و التعليمية في هذه الدولة، وكذلك المؤسسات التربوية التي نجحت في نشر الفكر الإسلامي بين مختلف طبقات الأمة في ذاك العصر.

ومن خلال هذه الدراسة تعرفتُ على كيفية استمرار العملية التربوية والتعليم الإسلامي بعد انتهاء حكم الأيوبيين في مصر وبداية الحكم المماليك الذين استمروا على نفس المنهج الذي كانت عليه مصر في الحكم الأيوبي، حيث وجدت أنه قد تم التطرق إلى نفس الأسس التي ساعدت في انتشار العملية التربوية الإسلامية وبشكل واضح، وهي الفكر التربوي الذي كان موجود في عهد المماليك في مصر، والنظام التربوي التعليمي الذي كان قائماً في المؤسسات التربوية التعليمية، والمؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد ودور العلم وغيرها.

فيمكن القول أن قدوم الأيوبيين إلى مصر ومباشرتها بالحكم بدلا من الفاطميين الذين كانوا يمثلون للفكر الشيعي الأول في العالم الإسلامي، والذين طال بقاؤهم في مصر على مدى قرنين من الزمن، فكانت قاعدة الحكم الأيوبي ترتكز على إعادة صياغة الفكر الثقافي والفكر التربوي للمجتمع المصري بما يتناسب مع كافة التغيرات السياسية والحضارية، فقد وجد أمراء الأيوبيين أن من خلال المؤسسات التعليمية الجديدة وبالأخص المدارس سبباً رئيسياً يساعد على تحقيق هذه التغيرات، وليس فقط للقضاء على المذهب الشيعي بل خطوة كمرحلة أولى في إعداد مجتمع مصري لكي يكون قادراً على مواجهة الخطر الصليبي.

٣ . ١. أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهدين

وكصفتي باحثة في هذا الموضوع وجدتُ أن المدارس في العصر المملوكي كان لها دوراً كبيراً في تطور العمارة الإسلامية، وكذلك أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية، ففي مصر عرفت المدارس منذ أواخر العصر الفاطمي، وانتشرت خلال العصر الأيوبي، وكثرت كثرة بالغة

خلال سلاطين المماليك، وفي الحقيقة أن مدارس مصر في العصر الأيوبي قد ساهمت وبشكل واضح وملموس في إحياء علوم شريعة أهل السنة وذلك من خلال ما قامت به من تهيئة جو مناسب للمدرسين والطلاب، ومعنى هذا أن المدارس الإسلامية في مصر في ذلك العصر كانت تشبه الخوانق إلى حد كبير من ناحية الانعزالية لبعض المدرسين لغرض التدريس والتأليف والتصنيف، وهذا أيضاً يدل على أن المدارس قد أصبحت بالمركز الأول للإشعاع الفكر السني لأهل السنة وبخاصة لبعض العلوم التي كانت تتعلق مباشرة بهذه المذاهب السنية.

فان بداية نشأة طبيعة الفكر التربوي في العصر الأيوبي هو إحياء علوم أهل السِنّة، وبالأخص من خلا إحياء حركة انتشار المدارس، ويبدو هذا واضحاً من خلال قراءة التاريخ بأن تلك المدرسة المعينة قائمة على المذهب السني المعين، وهذا يعني أنه لم يكن هناك منهجية واضحة وسياسة محددة لإنشاء نظام تربوي معين، بل اقتصرت حجة بناء مدرسة معينة إلى وقف تلك المدرسة على المذهب السني الذي سوف تنتهج به، ودون الحاجة إلى أي تفاصيل، لذلك توصلنا إلى نتيجة بأن المناهج الدراسية في تلك المدارس كانت غير ثابتة ضمن إطار خاص تابع للهيئة التعليمية، بل كان المدرس هو الذي يقوم بتحديد المنهج الدراسي الذي يرغب فيه في إلقاء الدروس.

ولمعرفة كيفية تطور الفكر التربوي القائم على العلوم الدينية في عصر الأيوبيين، أردتُ التطرق إلى بعض العلوم وكيفية تطورها منذ بداية نشأتها في الدولة الأيوبية، فعلى سبيل المثال علم الفقه، فبعد أن خضعت مصر إلى حكم الفاطميين منذ سنة ٩٦٩م وإلى سنة ١١٧٢م حاولوا محو أثار المذهب السني وفرض مذهب الإمامي القائم على أساس العقلانية والفلسفة، وبعد انتهاء حكم الفاطميين في مصر جاء الحكم الأيوبي إلى مصر وبذلك بدأت الحملات في إخماد المذهب الشيعي وإحياء المذهب السني من جديد، وأن المذاهب الأربعة الفقهية هي ليست فقط تمثل أربعة آراء شخصية لأصحابها بل هي أربعة تيارات فكرية تتناول المواضيع الشرعية وفق القرآن الكريم والسنة النبوية وفق قواعد في التفكير والقياس، ويمكن أن يستدل على صحة المذاهب الأربعة من خلال ما قام به صلاح الدين الأيوبي، فصلاح الدين الأيوبي قد كان شافعي المذهب وأمر ببناء المدارس الموقوفة على جميع المذاهب الأربعة، أي أن التيارات المذهبية الأربعة تصب كلها في مصب واحد ولها نفس الغاية، أي أن هناك حرية في العقلية الإسلامية التي نشأت في الدولة الأيوبية في مصر، إلا أن الحكم الأيوبي قد ألقى بقيوده بالنسبة للفكر الذي يتعلق بعلم الفلسفة، وكمثال أخر على نشأة الفكر التربوي من علم الحديث والذي

هو مكمل للشريعة الإسلامية والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، لذلك كان علم الحديث له علاقة وثيقة مع باقي العلوم مثل التفسير والفقه والنحو واللغة العربية، حيث زاد اهتمام بالحديث في زمن الأيوبيين بشكل واضح، فخرج من أصلابهم من أختص فقط بعلم الحديث عن باقي العلوم، وهذا ما تم ملاحظته في المدرسة الكاملية التي تحتوي على مؤسسة كاملة بعلم الحديث.

بعد النكبات المتلاحقة على المسلمين في عهد التتار وسقوط أكبر دولة للمسلمين وهي الدولة العباسية، فالتجأوا إلى مصر وبلاد الشام حيث أسس الأيوبيون دولتهم ومن صلبهم ولدت الدولة المملوكية أيضاً، فتوجهت أنظار المسلمين من كافة أنحاء العالم الإسلامي إلى مصر بقلوبهم وأرواحهم إلى القاهرة باعتبارها العاصمة الجديدة، فاكتسبت مصر الحياة العلمية الجديدة ونتقل النشاط العلمي من العراق وبغداد إلى مصر، وتفاخرت مصر بزعامتها العلمية والأدبية ونتقلت إلى البلاد الإسلامية كلها تقريباً.

وأردت الإشارة إلى أنه من خلال الدراسة التاريخية في المصادر التي تتعلق بتاريخ العصر الأيوبي والعصر المملوكي في مصر تبين أن الدولة المملوكية في مصر كانت تمثل بشكل الكبير كامتداد للدولة الأيوبية على مر التاريخ، ويمكن القول: أن الدولة المملوكية في مصر قد ولدت من بطن الدولة الأيوبية على نفس المنهج الإسلامي وعلى الكثير من المبادئ التي أتفق عليها الكثير من المفكرين في تلك الحقبة، ومن أبرز الأمور التي وضعت لتأسيس الدولة الإسلامية تأسيس التعليم التربوي الإسلامي في كلتا الدولتين هي:

أ. وجوب التعلم والتعليم ونشر العلم والثقافة الإسلامية بين جميع فصائل المجتمع، وكان أساس التعلم والتعليم هو الثقافة الإسلامية وذلك لأنهم فقهاء إسلاميون، وبالأخص أنهم خاضوا الكثير من الحروب من أجل الحفاظ على الدين الإسلامي واستمرار تدفق الإسلام رغم الصعوبات التي واجهتها كلتا الدولتين.

ب. الحث على الإخلاص في العلم والتعليم وطلب العلم، ومن كلا الطرفين المعلم والمتعلم أو الشيخ أو المدرس أو الطالب، وجعل الإخلاص هو شيء مقدس له شرعيته الخاصة، وفصل الفكر الذي يتطلب الترزق أو التكسب من العلم، والعمل بالعلم مع إسناد ذلك من الأحاديث والقرآن الكريم، وحذروا من العلم الذي ليس له نفع، مع ضرورة التعلم والعمل بالعلم النافع.

ت. ضرورة الأمانة العلمية والصدق، وخاصة في عملية نقل العلم إلى الطلاب، والابتعاد كل البعد عن التحريف والتغير والتبديل.

ووجدتُ إن كلا العهدين الأيوبي والمملوكي بادر بالاهتمام بالعلم والتربية والتعليم من خلال بعض المبادرات التي ساهمت في نشر العلم وإنشاء أُسَر مثقفة، ومن هذه المبادرات أو العوامل التي ساهمت في العلمية التربوية والتعليمية هي:

أ. تعظيم ملوك الدولة الأيوبية وسلاطين المماليك لأهل العلم، فقد أعطوا للعلماء وزناً ومكاناً كبيراً، حيث إن هذا التعظيم أثر بشكل مباشر في نفوس العلماء فدفعهم على أن يستمروا بحرصهم على الشريعة وأن يبثوا روح العلم والتعليم في نفوس طلابهم.
ب. تنافس العلماء فيما بينهم بالتعليم والتربية وحسن الأداء، فكانت نتيجة هذا التنافس الأثر الواضح في إحياء العلوم في ميدان العلم والتأليف. وكذلك الأثر الواضح في تطوير طرق وأساليب ونظم التدريس في كافة أماكن التدريس.
ت. الاهتمام باللغة العربية، فقد ساهم ملوك وسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية بالعناية باللغة العربية، وإلى مبادرة العلماء باستخدام اللغة العربية، وكذلك استخدام اللغة العربية في كافة أجزاء الدولة.
ث. إنشاء العديد من دور التعليم وتطوير نظم التربية والتعليم، فكان لهذا سبباً رئيسياً في نشر العلم والتربية بين كافة فصائل المجتمع في كلا الحقبتين.
ج. مساهمة الأوقاف بشكل واضح ومباشر للمدارس والإحسان إلى أهل العلم ودعمهم بعناية ورعاية خاصة.
ح. كان لوجود خزائن الكتب أو المكتبات سواء أكانت عامة أو خاصة دور مهم في نهوض الحركة العلمية ونشاط حركة التأليف.
خ. العناية باختيار وانتقاء العلماء والمدرسين، وقد عني الأمراء والسلاطين والقائمون على إنشاء المدارس باختيار القائمون على التدريس والمشرفون على أمور التعليم بان يكونوا من ذوي الشهرة المعروفين بالعلم والفضل.
د. تشجيع العاملون على التأليف والمؤلفين، فإن سير العملية التربوية والتعليمية شجعت على المضي في التأليف والتدوين والتصنيف.

٢.٣. التطورات التي حدثت في العهد المملوكي

لقد استنتجتُ أن عصر المماليك أظهر بعض الأفكار التربوية نقدية لبعض العلوم، وكمثال على ذلك الفكر التربوي للإمام الذهبي الذي لم يكتف بنقد العلوم بل أنه أوجد من نقده حلولاً لمعالجة بعض المشاكل التربوية السائدة في عصره، وكما أتفق العلماء على هذه الأفكار التي تعالج المشاكل التربوية في تلك الحقبة، أو العلوم التي يجب ان تدرس وسبب تفضيل بعض العلوم عن غيرها. وإن بعض المفكرين قد أشار إلى نوع من العادات السيئة التي كان لها تأثير سلبي على العملية التربوية في تلك الحقبة ومن أبرز هذه العادات السيئة هي التكسب بالعلم وسعي العلماء للحصول على المناصب والتعصب المذهبي، وكما أشار المفكرون إلى أهمية الأخلاقيات داخل المراكز التعليمية وبالأخص المدارس التي تحتوي على أقسام داخلية لمبيت الطلاب، فقد أشار أغلب المفكرين على أهمية الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الطالب داخل المدرسة وكيفية أقامه العلاقات ذات الطابع الجيد وكذلك أشاروا إلى أهمية اختيار الزميل أو الصديق الذي يكون له تأثير مباشر على الأخلاقيات، وكذلك أشار المفكرون إلى أهمية العلاقة بين الطالب والمدرس وهي علاقة مهمة لها تأثير مباشر على سير وتطور العملية التربوية، وكل هذه الاسباب أو الأمور تعكس التطور الفكري والتربوي في المؤسسات التعليمية وخاصة في عصر المماليك في مصر، وكذلك يجب الإشارة من خلال الاطلاع على المصادر التي تتعلق بموضوع هذه الرسالة البحثية بأن العصر المملوكي قد أظهر بشكل واضح تطوراً في الأفكار التربوية وتطوراً بالأساليب التدريسية، أكثر مما هو مشار اليه في عصر الأيوبي في مصر، وليس هذا سبباً أو خلل في نظام التربوي في عصر الأيوبيين لكي ينتقد العصر الأيوبي على مثيله العصر المملوكي، وذلك لأن العصر الأيوبي بحد ذاته عصر شهد الحروب العديدة وخاصة بما يتعلق بطمر المذهب الشيعي القائم على الفلسفة الدينية والتعصب المذهبي مما أثر وبشكل واضح على تطور العملية التربوية في عصر الأيوبيين.

وأحببتُ الإشارة إلى أن المدارس في كل من العهدين الأيوبي والمملوكي كان لها بعض الأمور المشتركة، ومن هذه الأمور:

١. أن المدرسة هي مرحلة متطورة من مراحل المؤسسات التعليمية في ذلك الزمن، فقد سبقتها مؤسسات تعليمية مثل المساجد، ودور الكتب، ودور العلم، والخانات، والخوانق،

وأن هذا التطور قد نجح بفضل مساعي أهل السنة برغبتهم في نشر مذاهبهم فأكثروا من إنشاء المدارس في جميع أنحاء الدولة.

٢. قد تأخر ظهور المدارس في مصر في زمن الفاطميين، وزاد انتشار المدارس في زمن حكم الأيوبيين على يد صلاح الدين الأيوبي، فلم تعرف المدرسة كمؤسسة تعليمية إلا مع تولي صلاح الدين الأيوبي الحكم، فقط دعا صلاح الدين الأيوبي واستقطب الفقهاء والعلماء للقدوم والعيش في دولته، وتسابق في إنشاء المدارس الملوك والأمراء والنساء والأغنياء طوال الفترة الأيوبية والمملوكية.

٣. المدارس في مصر أعطت دلالة على مكانة وأهمية كل مذهب من المذاهب السنية الأربعة بين شعوب مصر في ذلك الزمن، وعلينا أيضا زرع الفهم الإسلامي الصحيح في نفوس الطلبة وعلى منهج رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال تطبيق وتدريس كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

٤. كان انتشار المدارس في مصر وبشكل مركز وواضح في مدينة القاهرة، ولكن شهد التاريخ أيضاً على انتشار المدارس في الصعيد وكذلك في الإسكندرية التي استمرت فيها الحركة التعليمية.

٥. تم توفير الرعاية المالية والمادية أيضا في سبيل استمرار عمل المدارس على أتم وجه، وهذ الرعاية تم ملاحظتها بشكل مباشر من الحكومة الحاكمة أو المؤسسات الأهلية، واستمر هذا الدعم طوال الحكم بالنسبة للدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر.

٦. إن الحالة الإدارية والحالة المالية في نظام المدارس كان بشكل كبير متناسق ومتكافئ، مما أعطت نتيجة ايجابية في نهضة التعليم التربوي وإنشاء جيل متعلم وعالي الثقافة.

٧. على الرغم من نشر المذاهب السنية من خلال المدارس فإن باقي العلوم تم إدراجها ضمن المواد التي درست داخل المدارس، مما ساعدت وبشكل واضح على لعب تلك المدارس أداور سياسية واجتماعية في مصر.

٨. إن دراسة العلوم تطور مع تطور الزمن، وأصبح العلم ناضجاً على اختلاف درجاته وأثمر.

٩. كان للمدارس دور هام في تطور ونشر التعليم، ولاسيما في العلوم الدينية، فقد احتوت المدارس على عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين برزوا في تدريس العلوم الدينية مثل التفسير، والفقه، والحديث، وعلم القراءات، وكما ضمت على عدد كبيراً من الطلاب من أنحاء مصر، وكذلك من مختلف البلاد الإسلامية.

١٠. كان لدور المدارس في العهدين الأيوبي والمملوكي دوراً هاماً في حفظ علوم اللغة والدين، وكذلك في حفظ تراث الأمة، وتمكن الملوك بجهود علمائهم وتشجيع السلاطين لهم من حفظ تراث الماضي من الضياع، وهذا بحد ذاته تراث كبير لتلك الأمة لما انجزته من مدارس ومعاهد للعلم والتعليم.

١١. إن تطور النظام التعليمي لم يكن معروفاً إلا مع ظهور المدراس في مصر، وكدليل على ذلك هو ظهور وظيفية المعيد، وهذه الوظيفة لم تكن معروفية في العالم الإسلامي فيما مضى في كتب التاريخ، وظهرت هذه الوظيفة مع ظهور المدارس في مصر مع ظهور نظام الإعادة للمحاضرة في النظام التدريسي في المدارس وب ذلك أصبح نظام المعيد شيئاً مألوفا في النظم التدريسية في مصر.

وبرأي إن دولة المماليك جاءت مكملة لإنشاء المؤسسات العلمية والتربوية في مصر، وما قبل دولة المماليك كان الأيوبيون قد سقوها بإنشاء المدارس ودور التعليم، حيث زاد عدد المدارس بشكل كبير في عصر المماليك، وزاد أيضاُ عدد المساجد في عصر المماليك بشكل كبير ملفت، وكذلك زادت باقي المؤسسات التعلمية كالبيمارستانات والمكتبات والزوايا والربط والخوانق، وكل هذا هو بسبب إزهار الأوقاف الإسلامية وما كان لها دور وفعالية كبيرة في سير العملية التربوية في العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر.

ومن خلال دراستي إلى أن التربية الإسلامية في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر توصلتُ إلى بعض الأمور المهمة، وهي:

أ. أعطت فكرة عن كيفية نجاح قيام دولة جديدة قوية تكون قادرة على مواجهة كافة الضغوطات الخارجية، وذلك من خلال نشر الفكر الإسلامي الثقافي بين كافة طبقات المجتمع لإنشاء جيل تربوي متعلم.

ب. إن التربية الإسلامية لا يمكن أن تنشأ في جيل من الأجيال إلا من خلال التمسك بدين الله والشريعة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشبهات والتعصب الفكري، وهذا يتلخص بالرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة.

ت. التمسك بالمذاهب السنية الأربعة وتدريسها في المؤسسات التعليمية، مثل المدارس أو الجوامع في وقتنا هذا، تنتج جيل قادر على مواجهة خطر الأعداء من داخل وخارج الدولة.

ث. ان نجاح أي دولة من الدول يكون من خلال التربية والتعليم لكافة طبقات المجتمع، وهذا يساعد على نشر الفكر التربوي الصحيح والثقافة بين الناس.

ج. احترام المدرس والمتعلم، والتمسك بعلماء وفقهاء الناس يعطي نتيجة ايجابية في نجاح العملية التربوية والتعليمية، من خلال روح التنافس على العلم والتدريس بين العالم والمتعلم.

ح. نجاح العملية التعليمية التربوية في أي دولة من الدول لا يمكن أن يكون إلا من خلال دعم مباشر وقوي ومستمر من الطبقة الحاكمة في تلك الدولة. حيث يكون الدعم المالي بالدرجة الأولى في إنشاء المؤسسات التعليمية وكذلك بالنسبة لأجور العاملين في المؤسسات التعليمية بالإضافة إلى دعم الطلبة وجذب العلماء إلى المؤسسات التعليمية، وهذا ما تم ملاحظته في كل من العهدين الأيوبي والمملوكي.

خ. الاهتمام بتطوير نظم التدريس في المؤسسات التدريسية، وذلك من خلال وضع خطط وجداول عمل يلتزم بها كل من المدرس والطالب، وحل المشاكل المتعلقة بسير العملية التربوية التعليمية من خلال المتابعة والتطبيق.

د. التعليم التربوي يجب أن يكون بالمقام الأول في المؤسسات التعليمية لإنشاء جيل إسلامي، بالإضافة إلى دعم تدريس باقي العلوم في مختلف المؤسسات التعليمية كالرياضيات والتاريخ والطب وغيرها.

ذ. فهم الأمانة العلمية على كل من المعلم والمتعلم، ولا يجوز استغلال العملية التربوية لغايات شخصية قد تسبب مشاكل في السلوك التربوي للجيل الناشئ.

ر. عناية المؤسسات التعليمية بصورة مستمرة، ومراقبة سير العملية التربوية التعليمية بشكل صحيح.

ز. تطبق فكر تربوي نموذجي صحيح يتناسب مع كافة مراحل التعليم من مرحلة الطفولة بالنسبة لتربية الأطفال وحتى أعلى مرحلة وهي مرحلة العالم، وهذا الفكر التربوي المطبق يجب أن يكون قادر على حل المشاكل في كافة مراحلها، وعلينا أيضا زرع الفهم الإسلامي الصحيح في نفوس الطلبة وعلى منهج رسولنا الكريم – صلى الله عليه– وسلم من خلال تطبيق وتدريس كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

الخاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع توصلتُ إلى النتائج التالية:

أثبتت الدراسة أن الفكر التربوي قد مر بمراحل تطور رسمتها الظروف التي مرت بها المنطقة، فمن الطبيعي ظهور عدد من المفكرين الذين نحتوا التاريخ بتلك المعالم العظيمة في تلك المرحلة، فقد أعطى المفكرون أفكاراً تربوية ذات طابع حيوي على كيفية وجوب التعليم التربوي الإسلامي والإخلاص في الوظيفة التربوية لأنه واجب ديني، وقد اتفقوا المفكرون فيما بينهم على تلك الأفكار والالتزام بالأخلاقيات العلمية والتربوية والوظيفية في المؤسسات التربوية التعليمية.

وأثبتت الدراسة انتشار واضح للمراكز التعليمية في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر، كالكتاتيب والمساجد والمكتبات والمدارس والبيمارستانات وغيرها، وكل هذه المراكز التعليمية تعطي فكرة واضحة على كمية التطور العلمي في تلك البلاد في ذاك الزمان، وأن المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في دولة الأيوبيين أستمرت بعملها في العهد المملوكي وذلك بسبب العناية التي توفرت لها من قبل المماليك والتي شهدت فترة حكمهم بإنشاء الكثير من المراكز التعليمية مع مراعاة مشاركة العلماء والقضاة وباقي رجال الدولة.

وأثبتت هذه الدراسة أن المساجد والزوايا والخوانق كان لها دور يشبه إلى حد ما دور المدارس في نشر الثقافة الإسلامية وتربية الأجيال، حيث تم الإنفاق عليها من قبل رجال الدولة بغاية نشر العلم بين الناس.

وتبين من خلال هذه الدراسة أن هناك تطوراً واضحاً في العلوم المختلفة من بداية العصر الأيوبي وإلى نهاية العصر المملوكي، وهذه العلوم قد شملت العلوم الدينية وعلوم اللغة والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية، وكل هذا بسبب تشجيع الطبقة الحاكمة للحركة العلمية والاندفاع لجذب كافة الفقهاء ورجال العلم من خارج البلاد إلى داخل مصر.

ومن خلال هذه الدراسة تبين أن للأوقاف الإسلامية دوراً كبيراً في عميلة تمويل المؤسسات التعليمية في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية، فقد وفرت مصادر الإنفاق لمتطلبات الحياة في كافة مختلف المؤسسات التعليمية من خلال تنظيم الرواتب للعاملين فيها

كالمدرسين والطلاب والموظفين والإداريين، وكان هذا السبب الأساسي لاستمرار هذه المؤسسات التعلمية في عملها وتطوير برامجها التعليمية.

وأظهرت هذه الدراسة تطور أساليب وطرق التعليم والتدريس عبر مختلف الفترات، حيث إن تعدد العلوم تطلب طرق تعليمية مختلفة وتوجيهات تربوية مختلفة تم الاشارة اليها من قبل بعض المفكرين في كلتا الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر مثل ابن خلدون والذهبي وابن جماعة وغيرهم من المفكرين.

ومن خلاصة هذه الدراسة أن المدرسة في العصر الأيوبي والعصر المملوكي كانت تقابل جامعاتنا أو معاهد التعليم العالي في العصور الحديثة، وإن تاريخ التعليم الإسلامي عملية ربط مهمة بين المذاهب السنية الأربعة ونشأة المدرسة، حيث أن المدرسة كمؤسسة تعليمية لم تنشأ فكرتها بشكل مباشر، وإنما جاءت نشأة المدرسة بشكل تدريجي ومتطور بعدة مراحل من بداية نظام الحكم الأيوبي وحتى نهاية دولة المماليك، حيث أن التيار المذهبي الفكري كان في بدايته أقوى من التيار العلمي في عملية التحصيل الدراسي، وبعد ذلك تطور الفكر العلمي مع مرور الزمن وظهرت علوم مختلفة كعلم التاريخ والرياضيات والطب وغيرها.

أثبتت الدراسة أن نشأة عملية التربية الإسلامية والتعليم كانت في مساجد كمؤسسة تعليمية صغيرة مع أن المساجد بحد ذاتها تتغطي عليها صفة العبادة وليس التعليم، ولكن مع ظهور المدارس فإن صفة الدراسة غلبت عليها ولو أنها كانت للعبادة أيضاُ، حيث أن المدارس تميزت عن المساجد باحتوائها على مساكن لطلاب العلم والمدرسين وهذا لا نجده في المسجد أو الجامع، وهذا يدل على أن التربية الإسلامية كانت مركزة بشكل أساسي داخل المدارس وانتشرت بشكل واسع بين مختلف فصائل المجتمع بفضل المدارس وليس الجوامع، وبسبب التشابه بين المسجد والمدرسة في الوظيفة التربوية لأنهما متقاربان في عملية التصميم الهندسي والبناء، حيث كان للمدرسة مئذنة أو أكثر ويقام الأذان وقت الصلاة، وكان هناك أوقات للعبادة والتسبيح والأذكار الشرعية.

وبشكل مبسط أثبتت هذه الدراسة أن التربية الإسلامية والتعليم التربوي له أهمية كبيرة في إنشاء جيل متعلم مثقف ملتزم بالعادات الإسلامية: كالمثابرة والصدق والأمانة وحب العمل الصالح وحب التعلم، وهذا الجيل المسلم له القدرة الكاملة على مواجهة كافة الضغوطات والمخاطر التي تريد تدمير بلاد المسلمين محاربة الدين الإسلامي وشريعة الله في هذه الدنيا.

المراجع والمصادر

إبراهيم، ناجية عبد الله إبراهيم، *دراسات في تاريخ المرأة*، مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع– عمان، ١٩٩٨م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تح محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطى، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، *المدخل*، الطبعة الثانية، الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (أبو الفلاح)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تح عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق، ١٩٨٦م.

ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تح محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، ١٩٨٤م.

ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، *كنز الدر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب*، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (أبو عبد الله)، *رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)*، أكاديمية المملكة المغربية للنشر، الرباط، ١٤١٧هـ.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تح محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، *الفتاوى، الفقه* ، مجلد 22 ، د.ن، الرياض، 1961م.

ابن جماعة، محمد بن إبراهيم بن الجماعة، *تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم*، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٣م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن الحسن ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

ابن سحنون، ابي عبد الله محمد بن سُحنون ابن عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني، *آداب المعلمين*، تح حسن حسني عبد الوهاب، مطبوع ضمن كتاب التربية في الإسلام لأحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي شمس الدين الدمشقي، *نقد الطالب لزغل المناصب*، تح محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ونزار أباظة، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد البر، *جامع بيان العلم وفضله*، تح ابي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، *تهذيب الأخلاق*، تح قسطنطين زريق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

ابن مماتي، سعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا ابن مماتي، *كتاب قوانين الدواوين*، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب*، تح جمال الدين الشياك، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٧٧م.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، تح محمود ديوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ابو المحاسن، يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٦٢م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، *عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تح إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

أبو عطية، سهام أبو عطية، *ادراك الأخصائيين الاجتماعيين والإداريين في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب للخدمة الإشرافية*، دراسات تربوية، سلسلة ابحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة بالقاهرة، المجلد السابع، الجزء ٤٦، ١٩٩٢م.

ابو هوشيل، محمد عطية ابو هوشيل، *الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي*، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ والأثار، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٢م.

احمد، احمد عبد الرزاق احمد، *العمارة الاسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي*، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.

الأدفوي، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي، *الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد*، تح سعد محمد حسن وطه الحاجري، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦١م.

اسماعيل، ليلى عبد الجواد اسماعيل، *تاريخ الايوبيين والمماليك في مصر والشام*، الطبعة الأولى، دار الثقافة العربية للنشر، ٢٠٠٤م.

الاصفهاني، العماد الكاتب الاصفهاني، *الفتح القسي في الفتح القدسي*، تح محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

أمين، محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر*، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.

باحويرت، سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرت، *الاثر السياسي والدور الاصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك*، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، السعودية.

بن العميد، مكين جرجيس بن العميد، *أخبار الأيوبيين*، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، ١٩٩٢م.

بن شاهين، عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، *نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين*، تح محمد كمال الدين عز الدين علي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.

بن شداد، بهاء الدين بن شداد، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين*، تح الدكتور جمال الدين الشياك، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

بن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، *مفرج الكروب في اخبار بني أيوب*، تح الدكتور جمال الدين الشياك، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

بيومي، علي بيومي، *قيام الدولة الأيوبية في مصر*، الطبعة الأولى، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، الإسكندرية، ١٩٥٢م.

جيده، أحمد خالد جيده، *المدارس ونظام التعليم المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

الحازمي، خالد بن حامد الحازمي، *أصول التربية الإسلامية*، الطبعة الأولى، دار علم الكتب للطبع والنشر والتوزيع، الدينة المنورة، ٢٠٠٠م.

حسن، زكي محمد حسن، *أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية*، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.

حسن، زكي محمد حسن، *فنون الاسلام*، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي للنشر، ١٩٨١م.

حسين، حمدي عبد المنعم محمد حسين، *تاريخ الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

الحنبلي، احمد بن ابراهيم الحنبلي، *شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب*، تح مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م.

الخشاب، اسماعيل بن سعد الخشاب، *أخبار أهل القرن الثاني عشر (تاريخ المماليك في القاهرة)*، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٠م.

الدهشان، جمال على الدهشان، *الخدمات الطلابية في مصر زمن الايوبيين والمماليك*، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، المجلد الاول، العدد ٢، كلية التربية – جامعة حلوان، ١٩٩٥م.

ديماند، م. س. ديماند، *الفنون الإسلامية*، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم أحمد فكري، الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر للنشر، ١٩٨٢م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تح شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

ربيع، حسنين محمد ربيع، *النظم المالية في مصر زمن الايوبيين*، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م.

الرجوب، محمد علي الرجوب، *الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي*، حمادة للدراسات الجامعية، ٢٠١١م.

رزق، عاصم محمد رزق، *خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي*، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

رشيد، ناظم رشيد، *التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام*، مجلة آداب الرافدين، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد العاشر، ١٩٧٩م.

الزرنوجي، برهان الدين الزرنوجي، *تعليم المتعلم طريق التعليم*، تح مروان قيادئي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

زقلمة، أنور زقلمة، *المماليك في مصر*، الطبعة الأولى، مكتبة لسان العرب، الناشر مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

زيدان، جرجي زيدان، *استبداد المماليك*، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

سامي المغلوث، سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث، *أطلس تاريخ العصر المملوكي*، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠١٣م.

السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، تح عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩١م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب السبكي ، *معيد النعم ومبيد النقم*، تح محمد علي النجار وأبو زيد شلبي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، *الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة*، تح جودة هلال ومحمد محمود صبح وعلي البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي شمس الدين، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

سلام، ايمن شاهين سلام، *المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني*، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٩م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد السمعاني أبو سعد، *أدب الإملاء والاستملاء*، تح أحمد محمد عبد الرحمن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٨م.

الشاعر، منى سعد محمد الشاعر، *خاتونات البيت الأيوبي ودورهن السياسي والاجتماعي والعلمي كنموذج لدور المرأة في العصور الإسلامية*، د. ن. القاهرة، ٢٠٠٣م.

شطناوي، منتصر محمود صيتان شطناوي، *التربية والتعليم في دولة المماليك البحرية*، رسالة دكتوراه في جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

الشلبي، أحمد الشلبي، *تاريخ التربية الإسلامية*، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٦م.

شوقي، عبد المنعم شوقي، *دور الجامعة في حل المشكلات الاجتماعية للطلاب*، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد الثامن، سبتمبر، ص١٧ – ٢١، ١٩٧٥م.

الشيال، جمال الدين الشيال، *تاريخ مصر الإسلامية*، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م، ص٨٣.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *أعيان العصر وأعوان النصر*، تح علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.

الصلابي، علي محمد الصلابي، *صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، تح وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002 م.

طقوش، محمد سهيل طقوش، *تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة*، الطبعة الثانية، دار النفاش للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.

طقوش، محمد سهيل طقوش، *تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام*، الطبعة الأولى، دار النفاش للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.

ظاهر، عدنان محمد محمود ظاهر، *التعليم في مدارس بيت المقدس الإسلامية في العصر الأيوبي*، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٠م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح عاشور، *الأيوبيون والمماليك في مصر والشام*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح عاشور، *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

العبادي، أحمد مختار العبادي، *في التاريخ الايوبي والمملوكي*، الطبعة الأولى، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٢م.

عبد الرحمن، عبد الخالق عبد الرحمن، *الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة*، مكتبة ابن تيميه، الكويت، ١٩٨٦م.

عبد العاطي، عبد الغنى محمود عبد العاطي، *التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك*، الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.

عبد اللطيف، رجب عبد الوهاب عبد اللطيف، *دراسة تحليلية لمفهوم تكافؤ الفرص التعليمية*، بحوث مؤتمر نحو رؤية نقدية للفكر التروي العربي، المجلد الأول، رابطة التربية الحديثة بالاشتراك مع الجامعة العمالية بالقاهرة، ١٩٨٩م.

عبد الوهاب، حسن عبد الوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة*، الطبعة الأولى، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣م.

العريني، السيد الباز العريني، *الشرق الأدنى في العصور الوسطى (١) الأيوبيين*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.

العسلي، كامل جميل العسلي، *معاهد العلم في بيت المقدس*، الطبعة الأولى، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٧م،

العطاري، جلال يوسف العطاري، *حركة التأليف العلمي في مصر والشام في العصر المملوكي الاول*، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م.

عطية، جميل عبد المجيد عطية، *تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الاسلامية*، شركة العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠م.

علوان، عبد الله ناصح علوان، *صلاح الدين الايوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين*، الاصدار الاول، دار السلام للنشر، القاهر، ٢٠٠٧م.

علي، وفاء محمد علي، *قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام*، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧ هـ.

العناقرة، محمد العناقرة، *المدارس في مصر في عصر المماليك*، دراسة تاريخية من خلال الوثائق والوقفيات والحجج، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية، القاهرة، ٢٠١٥م.

العيني، ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، الطبعة الأولى، دار ابن حرم، ٢٠٠٥م.

القابسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي القيرواني، *الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين*، تح أحمد خالد، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦م.

قاسم، قاسم عبده قاسم، *عصر سلاطين المماليك*، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

القصيب، سعد مسقر القصيب، *الخدمة الاجتماعية المدرسية ومنهج وتطبيق*، الطبعة الأولى، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦م.

قطب، محمد علي قطب، *أبطال الفتح الإسلامي*، الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، *صبح الاعشى*، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ١٩١٦م.

دوندار، محمود دوندار، أنشطة التعليم والتدريس في عهد الأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه من جامعة أتاتورك في أرض روم في تركيا، ٢٠١٤.

مرسي، محمد منير مرسي، *التعليم الجامعي المعاصر قضاياه واتجاهاته*، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

مصطفى، شاكر مصطفى، *صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفتري عليه*، الطبعة الثانية، دار القلم للنشر، دمشق، ٢٠٠٣م.

مقديش، محمود مقديش، *نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار*، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

مقديش، محمود مقديش، *نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار*، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي للنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي، *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تح جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ١٩٩٩م.

المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، *المقفي الكبير*، تح محمد البعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

المنجد، صلاح الدين المنجد، *رسائل ونصوص*، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد للنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

موير، وليم موير، *تاريخ دولة المماليك في مصر*، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

النباهين، علي سالم النباهين، *نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك*، ترجمة وتح ابراهيم عصمت مطاوع وعبد الغني عبود، تقديم عبد الغني عبود، دار الفكر العربي للنشر، ١٩٨١م.

النهار، عمار محمد النهار، *الدراسات النظرية الجديدة في عصر المماليك البحرية*، مقالة في مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧– ١١٨، كانون الثاني، حزيران، ٢٠١٢م.

النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي أبو محمد، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، تح خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

يانج، المستر جورج يانج، *تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم إسماعيل*، تعريب علي أحمد شكري، مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

ملخص البحث باللغة العربية

(رسالة ماجستير)

ضبيا نزار عبد الجليل

جامعة وان يوزنجوييل

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم الفلسفة والعلوم الدينية – التربية الإسلامية

مايو – ٢٠١٨

إن الذي قصده الباحث من هذه الدراسة التي اعتمدت على منهج البحث التاريخي، هو مقارنة ودراسة تحليلية للتربية الإسلامية في كل من العهدين الأيوبي والمملوكي في مصر، من خلال التعرف على الفكر التربوي الإسلامي، ونظام التربوي التعليمي في المؤسسات التعليمية في كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية التي تناولت ذلك العصر، وكذلك الاستعانة بالمصادر الثانوية ذات الصلة بالموضوع، فإن هذا البحث قدم فائدة علمية عن مفهوم التربية الإسلامية الذي كان موجود آنذاك، فلقد كان لقيام الدولة الأيوبية في مصر أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وبعد ذلك تلاها الحكم المملوكي الذي لا يقل أهمية عن مثيلتها الدولة الأيوبية.

وقسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهرس بأهم المصادر والمراجع، في المقدمة والتمهيد ذكرت فيها أهمية الموضوع في هذه الرسالة وسبب اختياري له، ومنهجي في البحث، وخطة البحث، وفي بابه الأول ذكرت نبذة تاريخية مختصرة عن العصر الأيوبي، وتناولت أيضاً هذه الدراسة مختلف العلوم التي كانت تدرس في مؤسساتها التعليمية في عصر الأيوبيين بالإضافة إلى نشر المذهب السني من خلال تدريس العلوم الدينية وعلى رأسها التربية الإسلامية، وهذا يعطينا فكرة من منظور أوسع على مدى التطور في نظم التعليم الذي كان قائما في ذاك العصر، وفي نهاية الباب الأول تركزت الدراسة على التربية الإسلامية والتعليم

التربوي الذي طبق وبشكل ناجح في الدولة الأيوبية، حيث تم التطرق إلى المقومات الأساسية التي ساعدت على نشر التربية الدينية وهي الفكر التربوي الذي كان قائماً في دولة الحكم الأيوبي في مصر، والنظم المستخدمة في سير العملية التعليمية التربوية، ونوع المؤسسات التي ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية في مصر في تلك الدولة.

وفي الباب الثاني تم تدوين نبذة تاريخية عن الحكم المملوكي في مصر، وتم التعرف على العلوم التي تم تدريسها وتعليمها في عصر المماليك، وهذا يعطينا فكرة على مدى توسع تعدد العلوم وتطور العلوم التي تساهم في قيام دولة متكاملة قادرة على مواجهة خطر الضغوطات عليها، وكذلك تشير إلى مدى حرية التعليم في ذاك العصر، وفي نهاية الباب الثاني تم دراسة التربية الإسلامية في عصر المماليك، وهذا يمكننا من معرفة الفروقات بين كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر، فقد شملت دراسة هذا البحث ثلاث مقومات أساسية في سير العملية التربوية الإسلامية وهي الفكر التربوي الذي ساعد في نشر وسير عملية التعليم، وطرائق التدريس المستخدمة في هذه العملية التربوية، وطبيعة المؤسسات التربوية في عصر المماليك في مصر.

واحتوى الباب الثالث على موضوعين أساسيين وهما أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهدين، والتطورات التي حدث على التربية الإسلامية في العهد المملوكي، لإعطاء فائدة أكبر لكيفية نجاح نشر الفكر التربوي الإسلامي وسير العملية التربوية من بداية العصر الأيوبي وإلى نهاية الحكم المملوكي في مصر، ثم خاتمة البحث التي بينت فيها أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمد هذه الدراسة عليها.

الكلمات المفتاحية	التربية الإسلامية، العهد الأيوبي، العهد المملوكي، مصر
عدد الصفحات	١٣٦+٢٦
المشرف	أ. د. محمود دوندار

ÖZET SAYFASI
YÜKSEK LİSANS TEZİ
Dhabya ABDULJALEEL
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
Mayıs, 2018

EYYÜBİ VE MEMLÜKLER DÖNEMLERİNDE MISIR'DA İSLAMİ EĞİTİMİN MUKAYESESİ

ÖZET

Şüphesiz ki Mısır'da kurulan Eyyûbî Devleti askeri, siyasi, toplumsal ve kültürel açıdan önemli bir konuma sahiptir. Bu devlettten sonra kurulan Memlûkler Devleti'nin de söz konusu alanlarda Eyyûbilerden geri kalır bir tarafı yoktur. Sözü edilen her iki devletteki kültürel gelişimin en önemli boyutu olan eğitim ve öğretim faaliyetlerinin objektif ve net bir bir şekilde ortaya konması hususu da elbette ki çok önemlidir. Bu açıdan çalışmamız Eyyûbî ve Memlûkler döneminde Mısır'daki İslâmî eğitim ve öğretimin karşılaştırılması bağlamında mukayeseli ve analitik bir çalışma olduğu kadar tarihsel bir araştırma niteliği de taşımaktadır. Zira çalışma, gerek Eyyûbî gerekse Memlûkler dönemindeki İslâmî eğitim fikri ve ilgili kurumlardaki düzeni kapsamlı bir şekilde analiz eder.

Çalışma, giriş ve üç bölümden oluşmaktadır. Giriş kısmında çalışmanın amacı, önemi, yöntemi ve niçin tercih edildiğine dair bilgilere yer verilmiştir. Birinci bölümde Eyyûbîler döneminde Mısır'daki islâmî eğitimin seyri bağlamında, Eyyûbîlerin Mısır'daki islâmî eğitim düşüncesi, eğitim kurumlarının idaresi, vakıflar, okullara yönelik hizmetler ve eğitim faaliyetlerini yürütenler detaylıca incelendikten sonra Eyyûbîler döneminde mısır'daki eğitim merkezleri olarak da, kütüphaneler, camîler, okullar ve hankâhlar hakkında bir takım bilgilere yer verilmiştir.

İkinci bölümde Memlûklerin Mısır'daki tarihi incelenerek Memlûkler döneminde Mısır'daki İslâmî eğitim ve öğretimin yanı sıra Memlûklerin Mısır'daki islâmî eğitim düşüncesi, eğitim düzeni, okullardaki idarî düzen, vakıflar ve eğitim kadrosu aktarıldıktan sonra İslâmî eğitim yöntemlerine de yer verilmiştir. Daha sonra tıpkı Eyyûbîler Döneminde olduğu gibi Memlûkler dönemindeki eğitim merkezleri de detaylıca incelenmiştir.

Üçüncü bölümde ise Eyyûbî ve Memlûkler dönemi bağlamında İslâmî eğitimin karşılaştırılması, iki dönemin ittifak ve ihtilaf yönleri ile memlûkler döneminde ortaya çıkan gelişmelere değinildikten sonra sonuç kısmı ele alınmış ve bazı tespitlere yer verilerek çalışma sonlandırılmıştır.

Anahtar Kelimeler	İslâmî Eğitim, İslâmî Öğretim, Eyyûbiler, Memlûkler, Mısır.
Sayfa Adedi	136+26
Tez Danışmanı	Dr. Öğr. Üyesi Mahmut DÜNDAR

Dhabya ABDULJALEEL

Islamic Education between the Ayyubid and Mamluk eras in Egypt
(Study and comparison)

ABSTRACT

What the researcher intended from this study is a comparative and analytical study of Islamic education in both the Ayyubid and Mamluk eras in Egypt, which was based on the historical research method. Through the recognition of the Islamic educational thought and the educational system in educational institutions in both the Ayyubid and Mamluk states in Egypt, reliance on the primary sources that dealt with that era as well as by secondary sources that relevant to this subject. This research provided a scientific benefit of the concept of Islamic education, which existed at that time. The establishment of the Ayyubid state in Egypt was of a great importance in militarily, politically, socially and culturally. And then Ayyubid state was followed by Mamluk state which is not less important than the Ayyubid state.

My research was divided into: introduction, preface, three sections, conclusion and a catalog of the most important sources and references. In the introduction and preface, I mentioned the importance of selection of this subject in this thesis, the reasons for the selection this subject, research methodology and the research plan. In its first chapter, I mentioned a brief history of the Ayyubid period. The study also dealt with the various sciences that were taught in their educational institutions in the Ayyubid era. In addition to spreading the Sunni doctrine through the teaching of religious sciences, especially Islamic education. This gives us an idea from a broader perspective on the evolution of the education systems of that era. At the end of the first chapter, the study focused on Islamic education which was applied successfully to the Ayyubid state. Where discussed the basic elements that helped to spread religious education, which are the educational thought that existed in the rule of Ayyubid in Egypt, the systems used in the educational process, and the

type of institutions that contributed to the dissemination of Islamic culture in Egypt in that state.

The second section documented a historical brief of the Mamluk rule in Egypt, and the sciences that were taught and studied in the Mamluk era were identified. This gives us an idea of the expansion of the multiplicity of science and the development of science that contributed to the establishment of an integrated state able to face the threat on them as well as the extent of freedom of education in that era. At the end of the second chapter, Islamic education was studied in the Mamluk era. This enables us to know the differences between the Ayyubid and Mamluk states in Egypt. The study of this research included three basic elements of the Islamic educational process. These elements are: the educational thought that helped to spread the process of education, the teaching methods used in this educational process, and the nature of educational institutions in the Mamluk era in Egypt.

The third chapter contains two main topics: the differences between the two eras and the development that took place in Islamic education in the Mamluk era. To give greater benefit to how successful dissemination of Islamic educational thought and the educational process from the beginning of the Ayyubid state and the end of the Mamluk state in Egypt. And then the conclusion of the research, which showed the most important findings. Finally, a list of the sources and references to which this study is based.

Key words	Islamic Education, Ayyubid era, Mamluk era, Egypt
Number of pages	136+26
Thesis supervisor	Dr. Mahmut DÜNDAR

İÇİNDEKİLER

ÖZET

ABSTRACT

TEŞEKKÜR

İÇİNDEKİLER

SİMGELER VE KISALTMALAR DİZİNİ

ÖNSÖZ

GİRİŞ

1. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ İSLÂMÎ EĞİTİM

1.1. EYYÛBÎLERİN MISIRDAKİ TARİHİNE BİR BAKIŞ

1.2. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE EĞİTİM VE ÖĞRETİM

1.2.1. EYYÛBÎLERİN MISIR'DAKİ İSLÂMÎ EĞİTİM DÜŞÜNCESİ

1.2.3. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ EĞİTİM KURUMLARININ İDARESİ

1.2.4. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE MISIRDAKİ VAKIFLAR

1.2.5. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE MISIR'DA OKULLARA YÖNELİK HİZMETLER

1.2.6. EĞİTİM FAALİYETLERİNİ YÜRÜTENLER

1.3. EYYÛBÎLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ EĞİTİM MERKEZLERİ

1.3.1. KÜTÜPHANELER

1.3.2. CAMÎLER

1.3.3. OKULLAR

1.3.4. HANKÂHLAR

2. MEMLÛKLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ İSLÂMÎ EĞİTİM

2.1. MEMLÛKLERİN MISIRDAKİ TARİHİNE BİR BAKIŞ

2.2. MEMLÛKLER DÖNEMİNDE EĞİTİM VE ÖĞRETİM

2.2.1. MEMLÛKLERİN MISIR'DAKİ İSLÂMÎ EĞİTİM DÜŞÜNCESİ

2.2.2. MEMLÛKLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ EĞİTİM DÜZENİ

2.2.2.1. OKULLARDAKİ İDARÎ DÜZEN

2.2.2.2. VAKIFLAR VE EĞİTİMDEKİ ROLÜ

2.2.2.3. EĞİTİM KADROSU

2.2.2.4. İSLÂMÎ EĞİTİM YÖNTEMLERİ

2.3. MEMLÛKLER DÖNEMİNDE MISIR'DAKİ EĞİTİM MERKEZLERİ

2.3.1. OKULLAR

2.3.2. HANKÂHLAR

3. EYYÛBÎ VE MEMLÛKLER DÖNEMİ BAĞLAMINDA İSLÂMÎ EĞİTİMİN KARŞILAŞTIRILMASI

3.1. İKİ DÖNEMİN İTTİFAK VE İHTİLAF YÖNLERİ

3.2. MEMLÛKLER DÖNEMİNDE ORTAYA ÇIKAN GELİŞMELER

SONUÇ

KAYNAKÇA

ÖZET

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
Sosyal Bilimler Enstitüsü

TEZ KABUL VE ONAY SAYFASI

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Bu çalışma, jürimiz tarafından Felsefe ve Din Bilimleri **ANABİLİM DALI** Din Eğitimi **BİLİM DALI**'nda **TEZLİ YÜKSEK LİSANS TEZİ** olarak kabul edilmiştir.

Başkan	: Doç. Dr. Abdulhadi TIMURTAŞ	İmza:
ÜYE (Danışman)	: Dr. Öğr. Üy. Mahmut DÜNDAR	İmza:
ÜYE	: Dr. Öğr. Üy. Mazhar TUNÇ	İmza:
ÜYE	:	İmza: .....
ÜYE	:	İmza: .....

ONAY: Yukarıdaki imzaların, adı geçen öğretim üyelerine ait olduğunu onaylarım.

.../.../201.

Doç.Dr.Bekir KOÇLAR
Sos.Bil.Enst.Müd.

.....
Enstitü Müdürü

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
FELSEFE VE DİN EĞİTİMİ ANA BİLİM DALI
DİN EĞİTİMİ BİLİM DALI

EYYÜBİ VE MEMLÜKLER DÖNEMLERİNDE MISIR'DA İSLAMİ EĞİTİMİ MUKAYESESİ

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Hazırlayan

Dhabya ABDULJALEEL

Danışman

Dr. Öğr. Üyesi Mahmut DÜNDAR

VAN-2018

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
FELSEFE VE DİN EĞİTİMİ ANA BİLİM DALI
DİN EĞİTİMİ BİLİM DALI

EYYÜBİ VE MEMLÜKLER DÖNEMLERİNDE MISIR'DA İSLAMİ EĞİTİMİN MUKAYESESİ

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Hazırlayan

Dhabya ABDULJALEEL

VAN - 2018